
ليل الضمير
بيانات نوقع عليها معهم
نجيب محفوظ / جابرييل جارثيا ماركيز
خوسيه ساراماجو / وول سونيكا / راسل بانكس
نعوم تشومسكى / خوان جويتسولو
فيتشنزو كونصولو / روبرت فيسك
محمود درويش
ميريت ♦ جماعة المثقفين المستقلين

ليل الضمير

بيانات نوقع عليها معهم

نجيب محفوظ

جابرييل جارثيا ماركيز

خوسية ساراماجو

وول سونيكا

راسل بانكس

نعوم تشومسكى

خوان جويتسولو

فيتشنزو كونصولو

روبرت فيسك

محمود درويش

مختارات ميريت

ليل الضمير
بيانات نوقع عليها معهم

الطبعة الأولى، ٢٠٠٢
ميريت للنشر والمعلومات
٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة
تليفون / فاكس: ٥٧٥١٥٠٠ (٢٠٢)
merit56 @ hotmail. com

الغلاف: أحمد اللباد

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/٩٣٢٤

الترقيم الدولي: 977-351-040-9

نُشر هذا الكتاب، بدعم معنوى ومادى من جماعة المثقفين المستقلين والفنان محمود حميدة، وبالتشاور مع عدد من نشطاء الجماعة الأساتذة إبراهيم منصور وعلاء الديب وعلى بدرخان ود. أحمد يونس وأحمد الخميسى ، وبمساعدات وتطوع الأصدقاء بجمع المادة والترجمة والتصميم وائل عبد الفتاح وأحمد اللباد وإبراهيم داود ومحمد شعير وياسر شعبان، ومروة رزق وماجى ميشيل ومها عبد الرءوف، كباكورة إنتاج مشترك بين الدار وجماعة المثقفين المستقلين - اتفق بشأنه أثناء تنظيمها للإضراب عن الطعام والاعتصام بنقابة المحامين (٢٣/٤-٢/٥/٢٠٠٢) للمطالبة بطرد السفير الصهيونى وقطع العلاقات مع العدو - استمراراً لدور الجماعة فى محاولاتها التصدى للوجود الصهيونى والأمريكى فى مصر والمنطقة، بنشر ما يدين ويفضح بشاعة ما ارتكب من مذابح فى حق الشعب الفلسطينى، وما يحاك ضد مصر والأمة العربية من مؤامرات - ورغبة فى أن تتبلور كنواة لعمل ثقافى دائم وواع يلعب دور جهاز المناعة فى جسد الوطن، كما ذكر بيان الجماعة .

نُشر هذا الكتاب بإذن خاص من أخبار الأدب.

ميريت

الفهرس

شكر خاص

تتوجه جماعة المثقفين المستقلين، ودار ميريت بالشكر العميق للروائى الأستاذ جمال الغيطانى رئيس تحرير أخبار الأدب، لتقديمه المعونة الصادقة لنشر هذا الكتاب بعد نشر أجزاء كثيرة منه فى أخبار الأدب.

لم يعد أمــام الفلسطينيين غير الكفاح المسلح

نجيب محفوظ

إن ما تقوم به إسـرائيل فـي هـذه الحـرب الهمجيـة ضـد الشـعب الفلسـطيني هـو أخطـر أنـواع الإرهـاب ;لانــه إرهاب دولة وليس إرهاب أفراد وهو مــا لاينبغـي للمجتمـع الدولي ان يسكت عنــة. أمـا مـا يقـوم بـه الفلسـطينيون فهـو عيـن الدفـاع عـن النفس والاستشـهاد فــي سـبيل الوطـن والحرية . ان علينا في هذا الموقف تأييد الشعب الفلسـطيني ودعمه بكل الوسـائل الممكنـة بعـد أن أثبتـت الأحـداث أنـها الوسيلة الوحيدة للتعبير عن أمال الشـعب الفلسـطيني، الـذي يعانـي أسوأ أشكال الاحتلال في العـالم . لقد ضـاقت السـبل بالفلسطينيين أمام الهمجية الإسرائيلية ولم يعد أمـامهم غـير

الكفاح المسلح بعد أن سدت في وجوههم كل محاولات السلام، وضرب شارون بالمبادرة العربية عرض الحائط وانتهك كل القوانين والأعراف الدولية، حتي جرد حياة الفلسطينيين من كل معني ، فهل نلوم الشعب الفلسطيني إذا خرج يبحث بالموت عن ذلك المعني الذي فقده في الحياة . ان هذه همجية غير مسبوقة في التاريخ تستهدف إبادة الشعب الفلسطيني . ومن حق الفلسطينيين ان يواجهوها بكل ما يملكون!!

عن جريدة العربى الناصرى

بيان لا يوقع عليه سواى

جابرييل جارثيا ماركيز

إنه لمن عجائب الدنيا حقاً أن ينال شخص، كمناحم بيجن جائزة نوبل فى السلام، تكريماً لسياسته الإجرامية التى تطورت فى الواقع كثيراً خلال السنوات الماضية على يد مجموعة من أنجب تلاميذ المدرسة الصهيونية الحديثة. إلا أن الموضوعية تفرض أن نعترف بأن الذى تفوق على الجميع هو الطالب المجدد آرييل شارون. وعلى أى حال، فإن فوز مناحم بيجن بجائزة نوبل فى السلام يظل من عجائب الدنيا حقاً، ولا يخفف من دهشتى القول بأن الدنيا مليئة بالطرائف، وأن هناك ما هو أغرب.

المهم أن هذا ما حدث، ولا طريقة الآن لتبديله. فاز مناحم بيجن بجائزة نوبل فى السلام لسنة ١٩٧٨، مناصفة مع أنور السادات، رئيس جمهورية مصر فى حينه. جاء ذلك كنوع من المكافأة على اتفاقية براقة أرست قواعد السلام من طرف واحد هو العربى. الرجلان اقتسما

الجائزة. لكن المصير اختلف من أحدهما إلى الآخر. الاتفاقية ترتب عليها فى حالة أنور السادات انفجار بركان الغضب داخل جميع الدول العربية. فضلاً عن أنه - ذات صباح من أكتوبر ١٩٨١ - دفع حياته ثمناً لها. أما بالنسبة لبيجن، فلقد كانت هذه الاتفاقية نفسها بمثابة الضوء الأخضر، ليستمر بوسائل مبتكرة فى تحقيق المشروع الصهيونى الذى ما يزال حتى هذه اللحظة يمضى قدماً. أعطته الجائزة أول الأمر الغطاء اللازم حتى يذبح - بسلام - ألفين من اللاجئين الفلسطينيين بالمخيمات داخل بيروت سنة ١٩٨٢.

المؤكد أن اتفاقيات كامب ديفيد، بالإضافة إلى جائزة نوبل فى السلام، تجاوزت شخص مناحم بيجن، لتشمل أنجب تلاميذ المدرسة الصهيونية الحديثة، خاصة ناظرها الجديد آرييل شارون. جائزة نوبل فى السلام فتحت الطريق على مصراعيه لقطع خطوات متزايدة السرعة نحو إبادة الشعب الفلسطينى. كما أدت إلى بناء آلاف المستوطنات على الأرض الفلسطينية المغتصبة.

لن ننسى نحن الذين نقاوم فقدان الذاكرة الوعاء الفكرى لممارسات النازية. ارتكز هتلر على نظرية المجال الحيوى لتحقيق مشروعه التوسعى باحتلال أرض الغير.

وقد قال بيجن صراحة أن الأراضى المحتلة فى ١٩٦٧ هى ممتلكات يهودية ليس من حق أحد أن يطالب باستعادتها. الركيزة الثانية هى ما أسماه: الحل النهائى لمشكلة اليهود. معسكرات الاعتقال السيئة السمعة كانت فى نظره المخرج المناسب. إبادة جماعية، بولغ فى سرد وقائعها لتبرير إبادة جماعية أخرى. أما حكاية الملايين السته من اليهود ضحايا هتلر، فلقد انضمت إلى ترسانة الخرافات اليهودية، تمهيداً لإعادة ارتكابها من جديد تحت غطاء جائزة نوبل فى السلام.

استندت نظرية المجال الحيوى الصهيونية إلى أن اليهود شعب بلا أرض، وأن فلسطين أرض بلا شعب. هكذا قامت الدولة الإسرائيلية غير المشروعة فى ١٩٤٨. فلما تبين أن هناك شعباً، وأن فلسطين شعب يسكن فى أرضه، كان من الضرورى حتى لا تكون النظرية مخطئة، إبادة الشعب الفلسطينى ، وهو ما يتم بصورة منهجية منذ أكثر من خمسين عاماً. لكن جائزة نوبل فى السلام، بالإضافة إلى اتفاقيات كامب ديفيد، اتخذت شكل الإذن الدولى بالقتل الذى لا يجرمه أحد. وقد تمكنت أجهزة الإعلام التى يسيطر عليها اليهود من إقناع البلهاء فى الغرب بهذه الأكاذيب، مستثمرة عقدة الذنب عند القتلة،

فباركوا المزيد من المذابح. لو لا أن العالم استيقظ فجأة على أن هناك شيئاً اسمه الشعب الفلسطيني. ولم يلفت الانتباه إليه تمثيله الدبلوماسي أو مشاركته في المحافل الدولية. ما لفت الانتباه لوجوده هو هذا الأنين الصادر عن شعب يتعرض إلى الإبادة.

تهامس الجميع على استحياء: الظاهر أن هناك شعباً فلسطينياً، وأنه لسبب ما توارى عن الأعين طوال هذه السنوات. الشعب الفلسطيني بالفعل ظل مختبئاً في منطقة اسمها تجاهل الآخرين . اسمها: ليل الضمير البشري. حسناً . ما العمل الآن؟ الحل عثرت عليه مجموعة من أنجب تلاميذ المدرسة الصهيونية الحديثة . لتصبح فلسطين، تمشياً مع النظرية، أرضاً بلا شعب. وعلى الذين يتكاثرون كالأرانب ليقاوموا الفناء، أن يبادو بسلام.

وقد تصادف أن كنت في باريس، عندما ارتكب شارون - بغطاء من جائزة نوبل في السلام - مجازر صبرا وشاتيلا، قاتلاً أثناء الغزو ثلاثين ألف فلسطيني أو لبناني. كما تصادف أن كنت في باريس ، عندما فرض الجنرال جاروزيلسكي سلطة العسكر ضد إرادة الأغلبية من شعب بولندا. أصابت الأزمة البولندية أوروبا بصدمة جعلتها تترنح من الغضب. أنا شخصياً قمت بالتوقيع على

عدد كبير من البيانات التى تندد باغتيال الحرية فى بولندا. كذلك، فلقد شاركت فى الاحتفالية التى أقيمت، تكريماً لبطولة الشعب البولندى، بمسرح (بيرا دى بار) تحت رعاية وزارة الثقافة الفرنسية. وعلى العكس من ذلك تماماً ساد نوع من الصمت الرهيب، عندما اجتاحت القوات الشارونية لبنان. علماً بأن أعداد القتلى أو المشردين هناك لا تسمح بأى مقارنة مع ما حدث فى بولندا. ظهرت فى الحال النظرية السوفييتية التى تدعو إلى الأخوة بين القوى الأعظم على حساب أى شعب أو أى مذابح.

هناك بلا شك أصوات كثيرة على امتداد العالم تريد أن تعرب عن احتجاجها ضد هذه المجازر المستمرة حتى الآن. لولا الخوف من اتهامها بمعاداة السامية أو إعاقة الوفاق الدولى. أنا لا أعرف هل هؤلاء يدركون أنهم هكذا يبيعون أرواحهم فى مواجهة ابتزاز رخيص لا يجب التصدى له سوى بالاحتقار. لا أحد عانى فى الحقيقة كالشعب الفلسطينى. فإلى متى نظل بلا ألسنة؟ ولم أجد من يومها من يدعونى إلى أى احتفال ببطولة الشعب الفلسطينى فى أى مسرح تحت رعاية أى وزارة.

هذا ما يدفعنى الآن إلى التوقيع على هذا البيان بشكل منفرد. أنا أعلن عن اشمئزازى من المجازر التى

ترتكبها يومياً المدرسة الصهيونية الحديثة، ولا يهمنى رأى محترفى الشيوعية أو محترفى معاداة الشيوعية. أنا أطالب بترشيح آرييل شارون لجائزة نوبل فى القتل. سامحونى إذا قلت أيضاً أننى أخجل من ارتباط اسمى بجائزة نوبل. أنا أعلن عن إعجابى غير المحدود ببطولة الشعب الفلسطينى الذى يقاوم الإبادة، بالرغم من إنكار القوى الأعظم أو المثقفين الجبناء أو وسائل الإعلام أو حتى بعض العرب لوجوده. بشكل منفرد إذن، أنا أوقع على هذا البيان باسمى:

جابرييل جارثيا ماركيز

ملحوظة من المترجم: كطفل يحاول إيجاد ثقب صغير فى أسوار الـ (مائة سنة من العزلة).. أنا أيضاً - يا جابرييل جارثيا ماركيز - أوقع عليه معك: أحمد يونس

ترجمة: د. أحمد يونس

الولايات المتحدة وإسرائيل وفلسطين... وعبثية عملية السلام

نعوم تشومسكى

لاحظ باروخ كيميرلينغ وهو أحد أساتذة علم الاجتماع فى الجامعة العبرية قبل سنة أن "ما كنا نخاف منه يتحقق الآن". وهو أن اليهود والفلسطينيين بدأوا ينتكسون إلى حالة من العصبية الجاهلية... لهذا يبدو كأن الحرب مصير لا مفر منه، وهى حرب "استعمارية شريرة". وبعد غزو إسرائيل لمخيمات اللاجئين هذه السنة كتب زميله زئيف ستيرنهيل أن "الحياة الإنسانية فى إسرائيل الاستعمارية... رخيصة". ذلك أن قادة [إسرائيل] لم يعودوا يخجلون من الحديث عن الحرب في حين أن ما يقومون به حقيقة لا يعدو أن يكون صنفاً من إجراءات الضبط الاستعمارى، وهو ما يذكر باستيلاء جهاز الشرطة الأبيض على مواطن السود فى جنوب أفريقيا خلال فترة الفصل العنصرى.

يؤكد كيميرلينغ وستيرنهيل ما هو واضح: عدم وجود تناسب بين "المجموعتين الوطنيتين العرقيتين" اللتين

تنتكسان إلى حالة القبلية. ذلك أن الصراع يتركز في المناطق التي ظلت تحت الاحتلال الإسرائيلي العسكري العنيف طوال خمس وثلاثين سنة. أما المحتل فقوة عسكرية كبرى، وهو يتصرف معتمداً على دعم عسكري واقتصادي ودبلوماسي يستمده من القوة العالمية العظمى الوحيدة. وأما الشعب المحتل فهو أعزل ويقف وحيداً، ويعيش كثير من أفراده في أوضاع بالغة السوء داخل مخيمات بائسة، وهم يعانون في الوقت الحاضر من إرهاب أكثر فظاعة ودموية من نوع الإرهاب المألوف في "الحروب الاستعمارية الشريرة" كما أنه يقوم الآن هو نفسه ببعض الأعمال الوحشية من أجل الانتقام.

وغيرت "عملية أوسلو للسلام" شكل هذا الاحتلال لكنها لم تغير من طبيعته الأساسية. إذ كتب المؤرخ الإسرائيلي شلومو بن عامر قبل فترة وجيزة من التحاقه بالعمل في حكومة إيهود باراك أن "اتفاقات أوسلو تقوم على قواعد النظام الاستعماري الجديد، ويعني هذا أنها أسست على نوع من الحياة يتصف باعتماد أحد الفريقين على الآخر إلى الأبد".

ولا يمكن لأحد أن يشك في أن دور الولايات المتحدة سيظل دوراً حاسماً. لذلك فمن الأهمية بمكان أن

طويلة عند حاجز التفتيش، حيث نقف في طابور سلسلة غير متناهية من السيارات والشاحنات، كخط منبسط من السائرين على أقدامهم، التحقنا بجامعة بيرزيت. استقبلنا الطلاب العاطلون عن الدراسة. استقبلوا بفرح، بخاصة، شاعرهم محمود درويش. هناك ١٥٠٠ طالب، قال لنا الأساتذة، يصلون كل يوم إلى الجامعة بعناء كبير، بسبب الحواجز على الطرفات. التقينا كتّاباً ومثقفين فلسطينيين وأقمنا مؤتمراً صحافياً في <<مركز فلسطين للإعلام>>. بعد عودتنا إلى رام الله، ساروا بنا إلى المقر العام للسلطة الفلسطينية كي نلتقي عرفات. ظهر لنا بعد قليل في مكتبه. تعرف عاى شوينكا وساراماغو. أطلعه رئيس البرلمان الدولي للكتّاب، الأميركي راسل بانكس، على ندائنا من أجل السلام الذي أعلن في ٦ آذار الماضي، وسأله أي رسالة يتمنى علينا ان نحملها، فأجاب عرفات: <<بعد عدة أيام، سيحل عيد الفصح اليهودي، وهو ذكرى تحرير الشعب العبري من عبوديته في مصر. عليهم اليوم ان يمدوا، هم، أيديهم الى عبيد الحاجز، إلينا نحن الفلسطينيين. قل للعبريين الأميركيين اننا نطلب من الإسرائيليين تحرير الأراضي المحتلة والاعتراف بالدولة الفلسطينية. عندما كنت طفلا أضاف عرفات كنت أسكن

القدس، قرب حائط المبكى. طوال طفولتي، لعبت مع الأطفال العبريين. قل للأميركيين انني هنا، في مكتبي، إلى جانب طاولة العمل، لا يزال لدي <<المينورة>>. ينهض عرفات ويطلعنا على الشمعدان ذي الفروع السبعة. من ثم ذكّرنا بأن احدى وعشرين امرأة قد وضعن في السيارات عند حاجز التفتيش، وبأن اثنتين منهما ماتتا، ومعهما مولود جديد. العدو الأبدي سبق لي ان التقيت هذا الرجل في تشرين الاول ١٩٨٢ (مضت عشرون سنة على ذلك!) في حمام ليف، قرب تونس، التجأ بعد الهروب من لبنان ومذبحة صبرا وشاتيلا. كان هناك عدوه الدائم، ارييل شارون، الذي حاول قتله، والذي لا يزال حتى اليوم، وفي اللحظة التي اكتب فيها، يحاصره بدباباته ويطلق النار على مقره العام، يسجنه داخل غرفته، بلا كهرباء، بلا مياه. خلال هذا الوقت، ثمة صبيان وبنات محمّلون بالمتفجرات يقتلون انفسهم ويقتلون فوق هذه الأرض المقدسة التي أصبحت أرضا جهنمية. وفي اثناء ذلك، يسبب عناد وعنف الخصم شارون، كما الصمت الابدي للبلاد العربية التي تثير المخاوف من الاسوأ. <<انهم يعلنون الحرب على السلام>>، قال، وهو يكاد يبكي، بابا روما. من هنا، من ملجئي في وطني، في منزلي، اشعر ما ان عدت من

رحلتي إلى إسرائيل/ فلسطين، ومع الانباء الفظيعة التي تصلني، ومع اتصالات بييرا الهاتفية اليومية (وهي ايطالية متزوجة من فلسطين مسجونة في منزلها في رام الله، محرومة من النور والمياه) اشعر بعدم جدوى اي كلمة وبالتباين ما بين هذا الواجب في الكتابة الذي هو واجبي وما بين ان اشهد للواقع الذي رأيناه وللاشخاص الذين التقيناهم، وبين المأساة التي تدور حاليا هناك. بيد انه من واجبنا ان نكتب. انطلقنا في اليوم التالي الى غزة. انتظار طويل على معبر ايريز للتفتيش، الواقع على حدود القطاع. السيارات التي ترفع علم الامم المتحدة كانت بانتظارنا هناك. في قطاع غزة، الأشبه بنزول الى الجحيم، وصلنا الى قريتي خان يونس ورفح، وهما قريتان اعيد احتلالهما مؤخرا ودُمرتا، بخاصة رفح، على الحدود المصرية، التي دُمرت بالكامل والتي سوتها البلدوزرات بالأرض. نصحونا بأن نبقى مجتمعين، ألا نبتعد عن بعضنا البعض كي لا نخاطر بأن تصيبنا رصاصة تنطلق من أعلى حصون الباطون، هنا على الحدود. وبينما كنا نتسلق ركام الدمار، سقط الى جانبي رجل كان يسير على عكازين، اصيب بجراح في وجهه ويديه. ساعدناه على النهوض مجدداً. لكن الرجل العنيد، نجح في الانضمام الى وسط

المجموعة، ليبدأ بقص روايته. هنا، حيث الانقاض، كان منزله، منزله الذي كان يسكنه مع زوجته وأطفاله السبعة. عند الثانية صباحاً، وصلت الدبابات مع البلدوزرات لتهدم خلال ساعتين وتسوي بالارض جميع منازل القرية. غرقت تحت هذه الانقاض، كل الذكريات، الكتب، دفاتر الأولاد المدرسية. ثمة امرأة إلى جانبه، ربما كانت زوجته، كانت تبدو كصداه، بصوتها الأجش، إذ تستعيد رواية الحكاية. شهداء بعد فترة، في خان يونس، سمعنا نحيباً يبثه مكبر صوت في شارع صغير مليء بالأعلام والتيجان. هناك عزاء في ذكرى أحد هؤلاء المقاتلين و<<الإرهابيين>> الذين يسمونهم <<شهداء>>. يستمر الاحتفال كما قيل لنا لمدة ٣ أيام نشهد خلاله، زيارات الأهل، توزيع المأكل، الاستماع إلى الموسيقى. انه الاحتفال الجنائزي المتوسطي القديم، الذي وصفه ارنستو دو مارتينو في <<موت وبكاء شعائري>>. وبينما أنا أكتب، لا تزال تصلني اخبار الموت والبكاء، واحتلالات القرى الفلسطينية وانفجار <<التي. ان. تي>> والعمليات الانتحارية والمجازر في كل جانب. كآبات جديدة، وعليّ ان اكتب عن رحلتنا، عن تعليق أعمال العنف لفترة قصيرة وسعيدة خلال تواجدنا هناك. بيد ان ذكرياتي

الراهنة، تبدو مشوشة مثل حلم لا يبقى لدينا منه، عند استيقاظنا، الا أجزاء صغيرة. اللقاء في القدس مع ديفيد غروسمان، زيارة المدينة القديمة، طواف الآباء الفرنسيسكان في شارع ضيق، سير اليهود المتشددين السريع بمعاطفهم وقبعاتهم السود باتجاه حائط المبكى، نزهتنا في الحي العربي، لم تعد سوى اجزاء. أجزاء أيضا من قاعة فندق تل أبيب الكبرى، مرأى الشابات الحنونات والشبان الذين يرتدون ثياب شارون العسكرية. إلا أن وجه الشاعر اهارون وهو إسرائيلي منشق ووجه ابنه الصغير ديفيد، الذي رفض حمل السلاح، لا يزالان حاضرين. انهما، هما الأب والابن، اللذان أمام الفندق وبإشارة ناعمة وخجولة من يديهما، حييانا بينما كنا نغادر في باص صوب المطار. سأنذكر اهارون وديفيد والأم في رام الله الكامنة على الارض وبجانبها المنجل وباقات النعناع.

(?) كلمة تُطلَق على عدد كبير من النباتات الشائكة.

ترجمة/ إسكندر حبش

عن السفير اللبنانية

من حجارة داوود إلى دبابات جليات

خوسيه ساراماجو

يؤكد بعض المتعمقين فى الدراسات التوراتية أن سفر صموئيل الأول تمت كتابته فى عهد سليمان أو بعده بفترة قصيرة؛ قبل السبى إلى بابل على أية حال. بينما يرى دارسون آخرون، لا يقلون كفاءة، أن سفرى صموئيل الأول والثانى تم تحريرهما بعد السبى إلى بابل، وأن بنيتهما تخضع لما يسمى بقاعدة التثنية من حيث التكوين التاريخى- السياسى - الدينى. بمعنى أنه حدث تباعا، اتحاد الرب مع شعبه، وكفر هذا الشعب، وعقاب الرب، وتوسل الشعب، وغفران الرب. وإذا كان النص الموقر يعود إلى عصر سليمان، يمكننا القول بأنه قد مرت عليه حتى اليوم، بأرقام قاطعة، ثلاثة آلاف عام. وإذا كان الكتبة قد أنهوا عملهم بعد عودة اليهود من المنفى، إذن يجب ان نطرح من هذا الرقم ٥٠٠ سنة، قد تنقص شهرا أو تزيد.

* روائى برتغالى حاصل على جائزة نوبل للأدب عام ١٩٩٩.

هذا الانشغال بالتدقيق الزمنى إنما دافعه الوحيد هو العرض على وعى القارئ فكرة أن الأسطورة التوراتية الشهيرة للمصارعة بين الراعى الصغير داود والعملاق الفلسطينى جليات (والتى لم يكتب لها أن تتم) يتم قصها بطريقة خاطئة للأطفال، منذ ٢٥ أو ٣٠ قرنا على الأقل. طوال هذا الوقت أضفت الأطراف المعنية بالموضوع، مع التصديق الامتثالى لمائة جيل من المؤمنيين، من العبرانيين وكذلك المسيحيين، روحانية خادعة على عدم التكافوء بين الأربعة أمتار ارتفاعا لجليات الوحشى والبنيان الجسدى الهش للأشقر الرقيق داوود. الفارق فى القوة هذا، والذى كان هائلا وفقا لكل الدلائل، تم تعويضه واستثماره لصالح الإسرائيلى وذلك لأن داوود كان صبيا ماكرا، و جليات كتلة غبية من اللحم؛ كان الأول من المكر حتى أنه قبل ذهابه لمواجهة الفلسطينى، عثر على شاطىء جدول كان يقع بالقرب من المكان على خمسة أحجار ملساء، وضعها فى خرجه؛ وكان الآخر من الغباء، حتى أنه لم يدرك أن داوود أتى مسلحا بمسدس. لم يكن مسدسا، فقد يحتج غاضبين عشاق الحقائق الأسطورية الرفيعة، كانت ببساطة "نبلة"، نبلة حقيرة لراع، كالتى استخدمها منذ عهود سحيقة خدم إبراهيم لحرس الغنم. حقيقة، لم تكن تبدو كمسدس،

فليس لها ماسورة، ولا عقب، ولا زناد ، ولا خراطيش؛ و إنما هى عبارة عن حبلين رفيعين متينين، ومشدودين من طرفهما إلى قطعة من الجلد المرن، والتى فى فراغها و ضعت يد داوود الخبيرة الحجر الذى انطلق، من بعيد، سريعا و قويا كرصاصة إلى جبهة جليات، فصرعه وتركه تحت رحمة سيفه، الذى كان يشرعه الرامى الحاذق. إذا كان الإسرائيلى قد استطاع أن يردى الفلسطينى ويحقق النصر لجيش الرب الحى ولصموئيل، فلم يكن ذلك لأنه أكثر دهاء، وإنما ببساطة لأنه كان يحمل معه سلاح بعيد المدى، وعرف كيف يستخدمه. الحقيقة التاريخية، المتواضعة وغير الخيالية بالمرة، تكتفى بأن تذكر لنا أن جليات لم تسنح له الفرصة حتى ليضع يده فوق داوود؛ إنما الأسطورة، المبدعة الشهيرة للخرافات، تحتال علينا منذ ٣٠ قرن بالحكاية الرائعة لانتصار راع صغير على وحشية محارب عملاق ، والذى فى النهاية، لم ينفعه برونز الخودة الثقيل، ولا درع الصدر أو الساق ولا الترس. بغض النظر عن النتيجة التى قد نستخلصها من تطور هذا الحدث القدوة، فإن داوود فى المعارك العديدة التى جعلت منه ملكا على يهوذا وأورشليم وامتدت بنفوذه حتى الضفة اليمنى لنهر الفرات، لم يعد لاستخدام النبلة ولا الحجارة.

هو أيضا لا يستخدمها الآن. فقد تضخمت في الخمسين سنة الأخيرة قوة وأبعاد داوود، بدرجة جعلت من المستحيل رؤية وتحديد الفروق بينه وبين العملاق المتكبر؛ حتى يمكننا القول، بدون إهانة الوضوح المبهر للأحداث، أنه تحول إلى جليات جديد. داوود اليوم هو جليات والذى أصبح لا يعتمد على أسلحة برونزية ثقيلة عديمة الفائدة. ذلك الداوود الأشقر القديم يجوب في الهيلوكبتر الأراضي الفلسطينية المحتلة و يوجه الصواريخ نحو الأبرياء العزل، يقود داوود القديم أقوى الدبابات فى العالم و يحطم كل ما يقع في طريقه، ذلك الداوود الرومانسي الذى تغنى لبتشبع*، يتجسد الآن فى الهيئة الفظة لمجرم حرب يدعى أرييل شارون، يشهر الرسالة" الشعرية" بأنه من الضرورى أولا القضاء على الفلسطينيين ثم بعد ذلك التفاوض مع ما يتبقى منهم. باختصار، هكذا تكون ، مع بعض الاختلافات الطفيفة من حيث التكتيك، الخطة السياسية الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨. تسممت عقولهم بفكرة الخلاص بدولة إسرائيل الكبرى و التى تحقق أخيرا الأحلام التوسعية للصهيونية الأكثر أصولية، وهم ملوثون باليقين المتجذر والوحشى بأن فى هذا العالم الكوارثى والعبثى يوجد شعب مختار من الرب والذى، نتيجة لهذا، تصبح تلقائيا أفعاله المتولدة من عنصرية مهووسة، والتى من الناحية النفسية و المرضية

أفعال متعصبة، مبررة ومشروعة، باسم فظاعة الماضى والرعب من اليوم، هم تربوا وتعلموا على فكرة أن أية معاناة سببوها، أو يسببوها، أو سوف يسببوها للآخرين، وخاصة للفلسطينيين، تكون دائما أقل من الذى عانوه فى الهولوكوست، يخدش اليهود جرحهم الخاص بلا هوادة حتى لا يتوقف عن النزف، ليجعلوه غير قابل للشفاء، ويظهرونه للعالم أجمع كما لو كان راية. إسرائيل تستأثر بكلمات الرب الرهيبة فى سفر التثنية: "الثأر ملكى والجزاء". تريد إسرائيل أن نشعر جميعا، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بأهوال الهولوكوست؛ تريدنا إسرائيل أن نتخلى عن أقل رأى ناقد و نتحول إلى صدى مطيع لإرادتها، تريدنا إسرائيل أن نصف بأنه خيال، ما هو بالنسبة لهم ممارسة فعلية: الحصانة المطلقة. من وجهة نظر اليهود، لا ينبغي أن تخضع إسرائيل لحكم العقل، لأنها تعرضت للعذاب، والغاز والحرق فى أوستشفتز. اتساءل عن اليهود أولئك الذين ماتوا فى المعتقلات النازية، والذين تعرضوا للمطاردة على مر التاريخ، والذين ذبحوا فى حملات روسيا القيصرية، وأولئك الذين نسوا فى الجيتو، أتساءل إذا لن يشعر هذا الحشد الهائل من البؤساء بالخجل عندما يرون الأفعال المشينة التى يرتكبها أحفادهم. أتساءل إذا كانت المعاناة الهائلة لا تكون خير دافع بأن لا نجعل

الآخرين يعانون.

بدلت حجارة داوود اليد، والآن الفلسطينيون هم الذين يقذفونها. وأصبح جليات في الجانب الأخر، مسلحا ومزودا كما لم يحدث لجندى من قبل في تاريخ الحروب، بجانبه، طبعا، الصديق الأمريكي. آه نعم المذابح الفظيعة التى يقوم بها المدعوون بالإرهابيين الانتحاريين... فظيعة نعم بدن شك، غير مقبولة بدون شك؛ ولكن ما زال أمام إسرائيل الكثير لكى تتعلمه إذا لم تكن قادرة على استيعاب الدوافع التى يمكن أن تحول كائن بشرى إلى قنبلة.

●بتشبع: امرأة أوريا الحثى والتى زنا بها داوود ثم أمر بقتل أوريا وضم بتشبع لتصير امرأة له وأنجب منها سليمان. وردت هذه القصة فى سفر صموئيل الثانى الإصحاح الحادى عشر(م.)

ترجمة: مروة رزق
نقلاً عن أخبار الأدب

عوليس فى كهف الوحش

وول سوينكا*

ذهب وفد البرلمان الدولى للكتاب إلى "رام الله" تضامناً مع الكتاب الفلسطينيين، انطلاقاً من أن ذلك يعد تضامناً مع الشعب الفلسطينى بأكمله وهناك فى "رام الله" وغزة رأوا مالم يتصوروه قط، رأوا كيف ينفذ الإسرائيليون مخططاً مركباً لإهانة واذلال الشعب الفلسطينى وتحويل حياته إلى شيء غير آدمى لا يطاق.. هذا بعض ما رآه أعضاء الوفد الثلاثة الروائى النيجيرى "وول سونيكا" الحاصل على جائزة نوبل للآداب، والكاتب الأسبانى الأشهر "خوان غوتسيلو"، ورئيس البرلمان الدولى للكتاب الروائى الأمريكى "راسل بانكس".

كانت صورة مروعة، بغيضة وغير متوقعة، لكنها كانت صورة طاغية، قدمت نفسها بشكل كلى وواضح المعالم بوصفها استعارة لا يمكن مقاومتها، وذلك فى

---

* روائى وشاعر نيجيرى حاصل على جائزة نوبل للأدب عام ١٩٨٦.

ظهيرة يوم الاثنين، أول يوم كامل لنا فى "رام اللـه"، وعند إحدى نقاط التفتيش التى قطعت الطريق علينا. وكان على أهل المدينة ومن يزورونها أن يترجلوا من عرباتهم ليعبروا نقطة التفتيش سيرا على الأقدام، ليستقلوا وسيلة نقل أخرى من الجانب الأخر للطريق المقطوع.

كانت منطقة تجمع بين الخشونة والنشاط العارم، حيث أقام التجار سوقاً مؤقتاً، محتوياته الرئيسية من الفاكهة والوجبات الخفيفة والمشروبات المنعشة.

ظهر شاب صغير يرتدى ملابس زاهية الألوان وحول وسطه حزام عريض علق فيه أكواباً بلاستيكية، سرعان ما أخرج إحداها عندما لاحظ دهشتى ، وقدم لى شراباً.

لم أكن قد قمت بتغيير العملة، وهكذا لم أكن أستطيع أن أطلب شراباً حتى ولو رغبت فى ذلك، وأوضحت له ذلك بهدوء، لكن ذلك لم يزعجه، وقرر أننى يجب أن أتناول شرابا وصبه لى مجاناً.

* * *

لا.. ليست هذه الصورة التى خرجت بها من زياراتى إلى إسرائيل وفلسطين، بل هى الوجه الحميم لتجربتنا، مقابلة حميمية مضيافة، احتياج فوق كل شيء

للاتصال بالعالم الخارجى وإعادة الثقة بأن العالم لم ينس هذه المنطقة المتورطة فى صراع مميت.

تجلت الصورة المحورية فى طريق عودتنا من جامعة بيرزيت فعند الخروج من "رام الله" فعلنا مثل الآخرين، غادرنا "باصاتنا" عند نقطة التفتيش، وتعرضنا للعقوبة من الجنود الإسرائيليين حيث أن نقاط التفتيش قد تحولت إلى مراكز للهجوم، وبعد انتهاء الإجراءات القاسية، عبرنا حفرة عميقة تقطع الطريق إلى الجانب الآخر حيث ركبنا تاكسيات حدد لنا مضيفونا. وتكرر نفس الشىء فى طريق عودتنا. ركبنا تاكسيات من حرم الجامعة، وعبرنا نقطة التفتيش برفقة عمال وطلاب وأساتذة جامعات وفلاحين وأطباء وممرضات وتلاميذ مدارس.. ومشينا إلى محطة الباصات حيث كانت الباصات التى سبق واقلتنا فى انتظارنا. وعندئذ بدأت الصورة التى أشير إليها تحدث واقعياً.

* * *

وصلت حافلة إلى محطة الباصات، وبدلا من أن ينزل منها أفراد يشربون أو بضائع، خرج قطيع من الأغنام وبصحبته الراعى.

وشاهدنا الراعى يوجه القطيع، ليس بامتداد الطريق، ولكن إلى أسفل المنحدر الصخرى باتجاه الوادى،

وكان المنحدر يتزايد عند الوصول إلى منحنى فى الطريق فهل كان ذلك طريقا مختصراً ليصل إلى المكان الذى ينشده، سالكاً طرقات ريفية كى يصل إلى مدينة أو قرية أخرى، أم كان يرغب فى أن يمنح خرافه فرصة لترعى قليلاً قبل البحث عن وسيلة نقل أخرى إلى الجانب الآخر".

ولم نمكث لفترة طويلة بما يكفى لأكتشف "غايته" وعلى كل، ما حدث حينها أن لمحة خاطفة باغتتنى: عوليس بين "السيكولبس ـ كائنات أحادية العين"، وقد حبس فى كهف يخص "البوليفيموس – الأخطبوط" أحادى العين.

لنسترجع الآن بعضاً من التفاصيل الخرافية لهذه المغامرة، فكثير من أوجهها بدأت تكتسب أبعاداً واقعية. فعندما فكر "عوليس" فى الالتجاء إلى مكان يحميه ورجاله، لجأ إلى كهف هذا العملاق ذى العين الواحدة، وهكذا جلبهم إلى بيته، وبدأ هذا العملاق يلتهم ضيوفه واحدا بعد الآخر، بعد أن حبسهم فى الداخل بواسطة صخرة عملاقة عجز "عوليس" بكل قوته أن يزحزحها.

وأخذ "عوليس" بثأره عندما كان العملاق نائماً، ودبر خطته للهرب بأن يستخدم قضيباً حاداً ومسخنا فى فقأ عين آسرهم؛ آكل لحوم البشر. والآن لنتذكر كذلك أن "عوليس" بحرصه المعتاد، لم يخبر مضيفهم الكريم باسمه

الحقيقى، بل قدم له نفسه باسم "لا - رجل، " No - man
وعندما انغرس القضيب الملتهب بعين العملاق فى هذا الليل الساكن، صرخ من الألم، وهرول رفاقه من "السكلوب" إليه، مستفسرين عن سبب ألمه الشديد، كرر العملاق أن "لا - رجل" هو الشرير الذى اقترف ذلك. وعندئذ شعر جيرانه بالاشمئزاز منه، ونصحوه أن يبحث عن علاج لكوابيسه، وعادوا إلى كهوفهم: فلو كان (لا - رجل) هو من أذاك، قالوا متهكمين، فلماذا أفزعتنا؟

والآن نعود إلى "عوليس" ورفاقه ، والذين مازالوا محبوسين داخل الكهف، فى انتظار أن يحرك العملاق الصخرة جانبا، وقد كان مجبرا على فعل ذلك لسمح بخروج أغنامه إلى المرعى.

لكن العملاق، رغم ألمه الشديد، كان لديه باق من الفطنة ليفتح الكهف بما يكفى لخروج الخراف واحداً فواحداً مغلقاً أى فراغ ممكن بواسطة يديه الضخمتين لتمر الخراف أسفلها ليتأكد من عدم وجود أى شخص فوق ظهرها وبالطبع قام "عوليس" بربط رجاله ببطون الأغنام.

وكان العملاق يربت على صوف رفاقهالأغنام ويهمس بتودد إليها، لكن فاتته طرائده حتى أخر رجل منها.

كم هذا كاشف ودال.

والآن وصلنا إلى الجزء الأخطر في الحكاية بمجرد عبوره، لم يستطع "عوليس" أن يقاوم الرغبة في السخرية من عدوه ، صارخا بسب العملاق، وبغضب شديد التقط العملاق قطعا حجرية ضخمة وقذفها باتجاه الصوت الذى يوخزه ، وأثار موجة عارمة نجحت في اكتساح معذبيه. لكن فات الأوان، فلقد طار الطائر ولو كان "عوليس" يريد العودة ليضرب الأخطبوط العملاق مرة بعد مرة لفعل، وكان العملاق سينزع كل الصخور - ملمح رئيسى في الأرض الفلسطينية ذات الصخور البيضاء المتألقة - ليقذفها على غير هدى باتجاه مهاجمه، وفي كل مرة يخطئه تماما، لكنه يستثير أمواجا غامرة الواحدة بعد الأخرى والتي تهدد بإغراق العالم وكل الأبرياء الذين يسكنونه.

* * *

ومثل هذا الـ (لا - رجل) ، الذى لا ملامح له - منه الكثير من كل الأعمار وكلا الجنسين - هو من يغضب الحكومة الإسرائيلية، وقائدها الحالى، وبالنسبة له حتى الاستغاثة بالأخطبوط العملاق - ولو ماديا - لن تكون مناسبة . وأثناء مواجهته لعدوه، تبنى مخططات لن تستثير

فقط موجة عارمة تغرق العالم بل ستشعل فيه النيران ولعجزه عن تحديد عدوه يوجه ضربات حمقاء لكن إصراره على تحديد الهدف الذى يضربه، لفت انتباه العالم إلى هذا الهدف، وهكذا حدد اسماً وشكلاً للجسد اللامرئ للشيطان، لقد اختار "أرئيل شارون" أن يستحوذ عليه هاجس يتعلق بهوية جديرة بالتصديق، لكنها كانت بمثابة نسخة مصغرة وفى متناوله ، إنه "ياسر عرفات"، والتى أصبح تعليق أى فشل وما يتسبب فيه من أحباط شيئاً بديهياً. وهكذا يصرخ "شارون" نحن نعرف من يؤذينا، وتردد وراءه حكومة الولايات المتحدة، لا أحد سوى "ياسر عرفات" .

عرفات! عرفات! عرفات!

وقبل فترة طويلة من اقترابى من كهف الأخطبوط العملاق ذى العين الواحدة، ارتجفت لأن المنطق يجعل أى شخص بأقل درجة ذكاء، وأقل درجة إحاطة بالتأثير النفسى للإهانة والإذلال والإحباط، يمكنه أن يفضح تفاهة التصور بأن - فى غمار الصراع بالشرق الأوسط - أى فرد مهما كانت درجة احترام اتباعه له، ومهما بلغت سلطته، يستطيع التحكم فى الفعل الذى ينتج عما يعانيه الأفراد والجماعة من إيذاء ويأس.

وبالطبع لا يسيطر "ياسر عرفات" على كل حركات المقاومة الفلسطينية حتى الجماعات المختلفة لا تستطيع أن تتجرأ وتعلن أنها تحكم السيطرة على أفعال الأشخاص وذرائعهم ونواياهم.

وعندما تسبب "تيموثى مكفاى" فى قتل مائتى شخص فى عملية واحدة لم يسع أحد ليلقى على رئيس الحكومة مسئولية انتحار "مكفاى" بوصفه انتقاماً للضحايا من الفرقة النسائية خلال الحرب العالمية الثانية. وبالتأكيد، وهذا ما حاولت توضيحه فى مناسبات كثيرة خلال زيارتى هذه، لم يسأل أحد رئيس الوزراء الإسرائيلى "شارون" عما قام به ، منذ سنوات عديدة مضت، أحد أفراد الاحتياط فى الجيش – الإسرائيلى - وهو طبيب بشرى، عندما أطلق النيران على حشد من المسلمين فى المسجد الأقصى، مرديا عددا كبيرا منهم قبل أن يطلق النار على نفسه. وتتسبب لاعقلانية الحكومة الإسرائيلية والأمريكية فى إرباك العقل، وتصبحان مثارا للسخرية عندما لا تقدران العواقب المأساوية المتوقعة. ومثال ذلك إصرارهما، خلال المراحل الأولى من الانتفاضة الحالية، على ضرورة التزام الفلسطينيين بأسبوع كامل من وقف العنف قبل العودة إلى مائدة المفاوضات.

وتأكيداً سيبدو هذا المطلب، مع كل من يتحرى المنطق - ما عدا هذين القائدين - بمثابة مطلب طفولى لا معقول ، وذلك قبل فترة طويلة من إدراك وإعلان "شارون" لا جدواه.

ومن الآثار التى خلفتها إقامتى القصيرة بين الفلسطينيين ، أنها شجعتنى على تكرار الزيارة، وعلى أن أربط بين القرارات السياسية للحكومة الإسرائيلية وبين سماح الحكومة الأمريكية بمثل هذه القرارات ببلادة بغيضة.

وإذا استثنيت شيئا شخصيا من زيارتنا هذه، فسيكون تكاثف رعبى الخاص من أن كثيراً من التدخلات المصيرية بشأن قضايا عالمية هى بيد هذين القائدين بكل ما يسيطران عليه من قوة عسكرية لا حدود لها.

* * *

لم يكن هناك أى كشف فى هذه الزيارة ، على الأقل بالنسبة لى. فمنذ شهور مضت، وفى مقال لى بصحيفة (Encarta Africana). استخدمت هذا التعبير، أن الحكومة الإسرائيلية تنتزع قلب "ياسر عرفات" وكبده لتطعم أطفاله بهما، ومن بإمكانه أن يفشل فى توقع نتائج ذلك •النزع للأحشاء.

ما أدركته الأسبوع الماضى كان بمثابة تعزيز لنبع الإعجاز، وجعلنى بحق أخاف على الإسرائيليين - فكثيرون منهم لا زالوا يصدقون أن قائدهم يسلك المسلك السياسى الصحيح، وأنه لن يشغلهم أبدا بما يحدث فى معسكرات اللاجئين الفلسطينية، وما يحدث فى ممارساتهم اليومية، ولكن حتى لو لم يتمكنوا من زيارة الواقع المادى، فإن الإذلال اليومى وما يخلفه من ندوب فى الذاكرة يظهر بجلاء ما يعانيه الفلسطينيون اليوم.

ترجمة: ياسر شعبان

عن أخبار الأدب

لماذا نحن فى رام الله؟

خوان جويتسولو*

شاعر حبيس، كغيره من أبناء وطنه الثلاثة ملايين، فى واحد من الفخاخ المتفرقة وغير متصلة فيما بينهـا التـى تعيش فيها ما يسمى بالسلطة الوطنية الفلسطينية.

يعد الكـاتب السـجين فـى رام اللـه علـى يد جيـش شارون واحد من أفضل الشعراء العرب فى القرن الحـالى. تاريخه الشخصى رمز لشعبه: فقد أمحيت قريـة مولـده فـى الجليل من على الخريطـة فـى عـام ١٩٤٨ ولجـأ وهـو فـى السادسة من عمره مع عائلته إلى لبنــان. وبعـد عودتـه إلـى الأرض المحتلة، أكمـل الدراسـة الابتدائيـة والثانويـة، ومـن وقت مبكر جدا، اشتغل بـالأدب والصحافـة. خـبر السـجون مرات عديدة على يد الإسرائيليين بذنب كتاباته، هجر وطنه ثانيـة فـى ١٩٧٠ واسـتقر تباعـا فـى موسـكو ، القـاهرة، بـيروت، تونـس وبـاريس. مؤسـس المجلـة الأدبيـة القيمـة (الكرمل) وقد تكون أهم الدوريات وأكثرها انفتاحا فى اللغة

* روائى أسبانى.

العربية خلال العقود الأخيرة. وعانى فى عام ١٩٨٢ الحصار الوحشى للعاصمة اللبنانية من نفس الجيش الذى، اليوم، يفرض عليه عدم مغادرة منزله. هذا المنفى الثانى شجعه على إنتاج كيانٍ شعرى جميل ومؤثر حيث تشغل فلسطين موقعاً مركزياً . شعر ملتزم بالكلمة المادية الدقيقة، وليست الكلمات العسكرية الدعائية. درويش ، ككل الشعراء، الحقيقيين، أصبح قادرا على خلق حقيقة لفظية تدوم فى ذاكرة القارئ لاستقلالية الغرض أو السبب اللذين يغذيانها.

بعد اتفاقات أوسلو العرجاء وما تبعها من حالة اللاحرب ولا سلم، عاد محمود درويش إلى وطنه وواصل فى رام الله أنشطته الشعرية ونشر المجلة. وحينئذ باغتته الانتفاضة الثانية هو الآن يجابه مصير جميع سكان رام الله. حيث تؤكد الدبابات وقاذفات الصواريخ والمروحيات ليلا ونهارا حصار المدينة المتعرضة لإبادة لا تعرف الرحمة.

* * *

عرض خطة شارون بوضوح وجلاء عالم الانثروبولوجى جيف هالبر، فى مقال بعنوان الهجوم الأخير للقضاء على الفلسطينيين المنشور فى جريدة البابيس

بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١١ وهى تهدف إلى تحقيق دفعة واحدة حلمه القديم بإجبار العدو على القنوع بدولة ضئيلة ممزقة، غير مستقلة بالمرة، وبلا أية اتصال فيما بينها، وبلا اقتصاد فعلى أو سيادة حقيقية. ولتحقيق ذلك ، تصبح كافة وسائل التهديد والعنف مشروعة: كالاغتيالات الانتقائية ، ودك البيوت، وحظر التجوال لأسابيع، وانتزاع الأراضى، وإخضاع الشعب الفلسطينى لنظام غير أدمى وحقير من التمييز العنصرى.

وإذا كانت لشارون فضيلة ما ، تكون هى وضوحه وصراحته. فخطته تقوم على عسكرة وعى المجتمع الإسرائيلى كحل قاطع لدحر إرهاب ضحاياه، ووقف الهجمات الانتحارية الدامية التى يكون من الخطأ والظلم مقارنتها بهجمات المتعصبين المتخابرين أتباع بن لادن. فلفظة إرهابى ما تزال غير واضحة ومتناقضة وخاضعة للأهواء: قوميات عديدة، وطوائف دينية أو أيديولوجية خلقت منظمات تطالب بقتل المدنيين تحت مسمى أية قضية بفرض أنها قضية مقدسة. من المستحيل تقسيم العالم بين إرهابيين وغير إرهابيين ، وكذلك يتم النظر إلى أفعال الإرهابيين بتفرقة تحددها الظروف المحيطة. ولكن منذ الهجوم الهالك والإجرامى على البرجين التوأمين وسياسة

القطب الأوحد التى أعلنها بوش فى خطابه فى يناير ، أصبح المسئول الأول عن مذابح صابرا وشاتيلا، متمتعاً بحصانة لم يمتلكها من قبل، قادراً أن يطلق على هواه، والكلمات لجيف هالبر ترسانته العسكرية المدمرة تجاه أى هدف يريده، وفى أى وقت يرغبه وبدون حساب لأى أحد.

يوم وراء يوم، وأسبوع وراء أسبوع، رأينا كل شيء وهو يتجاوز الحد المسموح به وبدون أن يعلو صوت أى شخص، تقريباً أى شخص، ليحتج قائلا: كفي. تدفعهم الهيمنة المطلقة للولايات المتحدة الأمريكية على الكون كله، وهيمنة إسرائيل فى الشرق الأوسط - بدون أن يكون هناك رادعاً - حثيثاً إلى الانتهاء من حربهم الصليبية الخاصة ضد الشر. بالنسبة لشارون ليس هناك فرقاً بين بن لادن وعرفات. رغم ما قد يثيره ذلك من الانزعاج المكتوم للدول الأعضاء فى الاتحاد الأوروبى. والزعيق الرسمى للعالم الإسلامى: قد نستثنى بعض مظاهر عدم الارتياح لوزراء خارجية فرنسا وتلميحات واحتجاجات جامعة عربية عاجزة. إن الصمت المسيطر على وسائل الإعلام الأوروبية وعلى مفكرين ما بعد الحداثة بصراحة يدعو إلى الاندهاش.

فرض نظام التمييز العنصرى على جيتو ومناطق

تجمع الفلسطينيين مع بداية الألف الثالثة هو انتهاك صارخ ورجعى لمنجزات حضارتنا. وإذا كان حاضرنا بفعل الضغط الدولى قدر منذ ٢١ عاما على إبطال هذه الانتهاكات فى جنوب أفريقيا إذن كيف يمكن تفسير الخنوع الذليل تجاه حالة الاستثناء المستديمة المفروضة بواسطة دولة هى فى الوقت ذاته استثنائية؟ هذا الاستثناء الإسرائيلى الذى استغل لإقامة دولة قومية لليهود بعد الهولوكوست. هل ينبغى أن يدوم، بعد تحقيق الغرض، على حساب معاناة واحتقار بمثابة خبز يومى للفلسطينيين؟ أليس هذا هو الوقت لانتهاء حالة الاستثناء ورعاية مبدأ المعايشة السلمية لدولتين طبيعيتين داخل حدود معترف بها دولياً.

إن القبول، وإن كان مؤقتاً، ربما لا يجب الموافقة عليه، يعتبر حالياً كارثة أخلاقية لكل من القاهر والمقهور. فشارون لا يعتبر العدو الأول للفلسطينيين فقط وإنما. بمرور الوقت، عدواً لإسرائيل نفسها.

* * *

سجن محمود درويش يشخص حالة الحصار لمواطنيه فى رام الله وبقية المدن. والقرى ومعسكرات اللاجئين فى الأراضى المحتلة منذ حرب الأيام الستة. وزيارة جماعة مستقلة من الكتاب للمدينة المحاصرة مقر

الشاعر هى أعمق من مجرد التضامن مع شاعر: فهى محاولة لبرهان عملى على وجوب القيام فى هذا التوقيت بفعل ما تجاه انتهاكات التاريخ والسياسة الرجعية كسياسة بوش، التى تمحى بجرة قلم مبادئ فرانكلين روزفلت وتحالف الدول الديمقراطية التى أدت إلى هزيمة الديكتاتورية فى القرن المنصرم.

ترجمة: مروة رزق
نقلا عن: أخبار الأدب

مشاهد الجحيم

خوان جويتسولو

جاءت العودة إلى الأراضى الفلسطينية المحتلة بعد غياب طويل لتؤكد أن التاريخ يعيد نفسه بقسوة ففى يونيو من عام ١٩٨٨ طفت أراضى الضفة الغربية وقطاع غزة مع فريق تابع للتلفزيون الإسبانى لتغطية أحداث الانتفاضة الأولى. وذهبت إلى هناك مرة أخرى عام ١٩٩٥ مراسلاً لصحيفة البابيس خلال تلك الفترة المحبطة من اللاسلم واللاحرب التى تلت اتفاقات أوسلو العرجاء كان الجيش الإسرائيلى قد أخلى بعض المناطق إلا أنه ظل يحاصرها بقبضة من حديد وكانت خيبة الأمل التى شعر بها الشعب الفلسطينى تؤكد نظرتى المتشائمة حيال مستقبل المنطقة وبعد ست سنوات أصبحت الأمور أسوأ بكثير منها فى عام ١٩٨٨ ففى الانتفاضة الأولى كانت هناك ثورة شعبية قمعت بعنف ، ولكن منذ وطأ شارون باحة المسجد الأقصى إذا بنا نجد أنفسنا أمام حرب ليست بين دولتين وإنما بين دولة تحظى بجيش فائق الإعداد والتحديث وأمة مشتتة بلا

حدود لا تكاد تمتلك أية أسلحة ، خاضعة لقمع وإذلال يومى وعمليات عقاب جماعى تفرز بدورها أجيالاً من الاستشهاديين على استعداد لتفجير أنفسهم.

* * *

تركت الحافلة التى كانت تقل وفد برلمان الكتاب الدولى من مطار تل أبيب إلى رام الله - تركت - الطريق الممهد الذى يربط بين العاصمة والقدس وانحرفت يساراً إلى أحد الطرق المرصوفة جيدا التى تربط المستوطنات المقامة فى الأراضى الفلسطينية التى احتلت بعد حرب الأيام الستة. كان الطريق الذى يربط القدس برام الله مغلقاً أمام حركة المرور، ومئات الفلسطينيين من المقيمين فى القدس أو ممن يعملون فيها يسيرون على أقدامهم ويلزمون صمتاً مطبقاً أثناء فحص وثائق هوياتهم.

* * *

كما توقعت قبل سنوات ، أصبحت الضفة الغربية وقطاع غزة مفككين وممزقين كقطعة قماش صنعت من بقايا وأسمال أقمشة مختلفة، وكما كانت الأسلاك الشائكة تحيط بالمستوطنات والمواقع العسكرية الإسرائيلية فقد كانت تطبق أيضاً على المناطق التى هى من الناحية النظرية خاضعة للسلطة الوطنية الفلسطينية : تحمى

وتعزل، تربط بين مناطق منفصلة وتفصل بين مناطق مترابطة، وتشكل متاهة من الجزر التى تتنافر وتتجاذب فيما بينها إنه نظام من التفرعات والتشعبات يكشف عن إصرار المحتل على تفتيت الأرض إلى أجزاء وقطع إلا أنه يوضح مع ذلك حالة من التجاهل المتبادل.

عندما بلغنا أخيراً نقطة التفتيش الإسرائيلية على مشارف حى قلندية الشهير كان الليل قد خيم. وبعد فترة من الانتظار سمح لنا بدخول رام الله وأرشدتنا سيارة تابعة للشرطة الفلسطينية حتى وصلنا إلى أحد الفنادق التى شيدت فى فترة الرخاء التى تلت اتفاقات أوسلو وهناك استقبلنا الشاعر محمود درويش وممثلون أخرون عن الحقل الثقافى فى العالم وليست ثمة حاجة بالطبع إلى أن أوضح أن وفدنا والمرافقين لنا من الصحفيين كنا النزلاء الوحيدين فى الفندق فمن ذا الذى يخطر له أن يأتى لإجازة أو للعمل فى تلك المدينة المحاصرة الجريحة التى تعيش فى ترقب انتظاراً للمزيد والمزيد من الهجمات؟

* * *

عندما أطل الصباح على رام الله - التى تستدعى بتكوينها من المرتفعات والمنخفضات شكل عمان - كانت حالة من الهدوء تخيم على المكان. ولكن لم تكد تمضى

برهة إلا وشاهدت بنفسى عمليات السلب المرعبة التى قام بها مجموعة من المسلحين الإسرائيليين على بعد مائتى متر فقط من الفندق ولبلوغ جامعة بيرزيت الفلسطينية كان على الطلاب والأساتذة وغيرهم من سكان المناطق المجاورة أن يتركوا سياراتهم ويعبروا طريقاً بطول خمسمائة متر تقطعه حواجز إسرائيلية ثم يتزاحموا على بضع سيارات تاكسى ومنى باص تنتظر على الجانب الآخر. ومن هنا فإن الأمر لا يتعلق بإجراءات دفاعية، بل هو عقاب جماعى مفروض على الشعب الفلسطينى بأكمله ذلك أنه فى فترات التوقف القصيرة بين غارة وأخرى يكون هدف شارون هو أن يذيق الفلسطينيين كل أشكال الإذلال يراوده ذلك الأمل الزائف والدنيء فى كسر صمودهم وتدمير روح المقاومة لديهم وهذه الروح - روح مقاومة الظلم - تجلت فى أبهى صورها فى الحفل الموسيقى والشعرى الذى أقيم على مسرح القصة فى وسط المدينة لقد أطلق المشاركون فى الحفل العنان لمشاعر ظلت مكبوتة خلال الفترة الأخيرة من الحصار والاحتلال. وكانت أثار الحرب ماثلة فى كل مكان. وفى مخيم أميرة للاجئين جاءت الآثار وحشية للهجوم الذى تعرضت له إحدى المدارس وتدمير أكثر من عشرين منزلا باستخدام الديناميت لتعطينا لمحة عن المشهد

الذى ينتظرنا فى غزة.

* * *

لم يكن لقاء الرئيس عرفات مدرجاً فى برنامج الزيارة. وعندما تم تحديده أعربت بشدة عن معارضتى ذلك أننى لا أشعر بأى انجذاب تجاه لقاء رؤساء الدول. فأنا أعلم جيداً أن كلاً من الكاتب والسياسى يعبر عن نفسه بطرق مختلفة تماماً، ولا شىء مما يقوله هؤلاء الرؤساء يمكن أن يثير اهتمامى. إلا أننى خضعت فى النهاية لرأى الأغلبية وقلت لنفسى إننا سنلتقى به على أنه مواطن فلسطينى محاصر سلب كجميع الشعب الفلسطينى حقوقه وحريته فى الحركة (بينما أكتب هذا الآن أتأمل صور الهجوم الذى تعرض له مقره الذى استقبلنا فيه) . إن الغضب الشخصى الذى يتفجر به شارون تجاه عرفات يعيد إلى سلطاته المعنوية التى كانت قد أصبحت محل شك. لقد قال فى بيروت عام ١٩٨٢ : سأخرج منتصراً حياً أو ميتاً وما لا يفهمه الجنرال أن عرفات يزداد قوة مع الهزائم وأنه يبعث من جديد كما تبعث العنقاء من وسط الرماد.

* * *

فى الرحلة من رام الله إلى غزة كان مشهد المستوطنات الإسرائيلية المقامة على أنقاض القرى الفلسطينية يستدعى إلى الأذهان شكل رقعة الشطرنج . فقد كانت المستوطنات تفصل بين هذه المنطقة وباقى أراضى

السلطة الوطنية الفلسطينية بشكل يجعل الأمور تختلط على الزائر غير الخبير بالمنطقة فلا يعرف داخل المستوطنات من خارجها.

وكان معبر إريز الحدودى الذى تصطف أمامه العديد من السيارات التابعة لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين (أنروا) عبارة عن مساحة شاسعة من الصحراء محاطة بأسلاك شائكة ولم يكن مسموحاً حينذاك للفلسطينيين الذين يعملون داخل إسرائيل بعبور الحدود الأمر الذى أدى بدوره إلى مزيد من التدهور الاقتصادى فى قطاع غزة.

بعد انتظار طويل دخلنا أخيراً إلى الأراضى البائسة الخاضعة للسلطة الوطنية الفلسطينية . وبسبب التأخير توجهنا مباشرة عبر غزة إلى مخيمى خان يونس رفح للاجئين كان الطريق الرئيسى مغلقا وتوجب علينا أن نستخدم الطريق الساحلى حتى دير البلح ولم يكن مجمع مستوطنات جوش قطيف المجاور بقاعدته العسكرية الشاسعة المحاطة بالأسلاك الشائكة والمكهربة يضم فحسب العديد من حظائر الطائرات والثكنات العسكرية ومستودعات الأسلحة والبلدوزرات والعربات من كل نوع وقواعد الرادار العملاقة وأبراج الإرسال، بل كان يشمل

أيضاً مناطق سياحية وفنادق وشواطئ خاصة بالمستوطنين. ذلك أن هذا المجمع الاستيطانى لم يتوقف عن التوسع طيلة السنوات الست الأخيرة. وقد قام المستعمر الإسرائيلى لتحقيق ذلك بتدمير العديد من المنازل واقتلاع مئات الأشجار المثمرة. ويقوم الإسرائيليون حالياً ببناء جسر يربط مستوطنة جوش قطيف بمستوطنة كفار داروم ومن ثم فإن المساحة التى يعيش عليها ما يزيد على مليون فلسطينى أخذة فى الانكماش كجلد كلب البحر وعدد المستوطنات التى تشغل نحو أربعين فى المائة من المساحة المزروعة فى القطاع يقارب الثلاثة آلاف مع أن مستوطنة كنتساريم مثلاً لا يقيم بها سوى ٦٧ شخصا.

* * *

عندما وصلنا إلى خان يونس كان المشهد مفزعاً بحق أطلال منازل وواجهات مدمرة كان المخيم مدمراً بفعل القذائف وطائرات الهليكوبتر ذات المدافع الرشاشة، وحتى الانقاض سحقتها البلدوزرات . وثمة جدار اسمنتى يفوق فى ارتفاعه جدار برلين . لقد قام المستوطنون بتوسيع المساحة الخاضعة لهم واقتطعوها بلا رحمة من ممتلكات الشعب الفلسطينى.

* * *

إننى اكتب هذه السطور بعد أيام من عملية نتانيا التى أسفرت عن مقتل عشرين إسرائيلياً وقبل ست سنوات وعندما كنت أكتب أيضاً حول رحلتى إلى إسرائيل والأراضى الفلسطينية المحتلة نفذ فدائى فلسطينى عملية مماثلة أعلن بعدها إسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلى حينذاك أن القضاء على مثل هذه العمليات لن يتم إلا بالفصل التام بين إسرائيل والأراضى الفلسطينية المحتلة وقد أغتيل رابين على يد متطرف يهودى. واليوم ها هو متطرف يهودى آخر مسئول من بين فظائع أخرى عن مذبحة صبرا وشاتيلا يقود إسرائيل بيد من حديد ويدفع بها إلى حرب بلا نهاية وإلى عملية تدمير ذاتى لما بها من معان روحية أو لما لها من وجود ملموس.

وكما كتبت فى البداية.. إن التاريخ يعيد نفسه وسيفرز انتقام شارون الأعمى مستقبلاً مظلماً يخيم على المنطقة بأسرها . ولن يؤدى اجتياح رام الله والهجوم على مقر رئاسة عرفات إلا إلى المزيد من الكراهية والعنف.

إن شارون لا يرغب فى متحدثين ، إنه لا يريد سوى مجموعة من العبيد . وأؤكد أنه من المستحيل التوصل إلى سلام أو أية هدنة دون اتفاق يضمن الحياة والعمل والكرامة للفلسطينيين داخل دولة ذات حدود معترف

بها دولياً . وأتذكر هنا ما كتبه أوكتافيو بك متحدثاً عن مصائر الشعوب عبر التاريخ فقال: "فى علم مغلق ، بلا مخرج ، حيث كل شىء ميت، تصبح القيمة الوحيدة هى الموت".

ترجمة: مها عبد الرءوف
نقلاً عن أخبار الأدب

تضامنا مع الأدباء ومع الشعب الفلسطينى كله

راسل بانكس

قرب انتهاء رحلة الأيام الخمسة بصحبة سبعة أعضاء فى البرلمان الدولى للكتاب، عبر مجموعة الجزر دائمة التعرض للهجوم والقصف والتى تكون أراضى السلطة الفلسطينية، حينئذ قابلت على الإفطار فى فندق الملك داود فى تل أبيب، اثنين من القادة الشباب ، الذين أطلق عليهم "الرافضون" ، فى جيش الدفاع الإسرائيلى ، والذين سبق وأعلنوا رفضهم للخدمة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة.

وهذان الشابان لا علاقة لهما بدعاة السلام، وليسا من جماعات اليسار أو من المجندين المنضمين إلى حركة السلام الإسرائيلية، وبالتأكيد ليسا جبانين، إنهما صهيونيان، تخرجا فى الجامعة، وابنان مخلصان لدولة إسرائيل، لكن موقفهما قد أصبح فى هذه الأيام السوداء الرهيبة أخطر تحد من الممكن أن يواجه به أى شخص المصداقية الأخلاقية

الإسرائيلية من داخل العائلة الإسرائيلية.

قابلتهما بمفردى حسب طلبهما. فلقد رغبا فى مقابلتى ، هكذا قالا، بسبب موقعى كرئيس للبرلمان الدولى للكتاب، وقائد للوفد، وبشكل رئيسى لما علماه من الانترنت بأننى أمريكى كنت ضمن الحركة المناوئة للحرب الفيتنامية خلال الستينات والسبعينات وأرادا الحصول على نصيحة أمينة من شخص مثلى يتشابه موقفه مع الوقف الذى اتخذه تجاه الصراع الإسرائيلى الفلسطينى، من ابتعاد عن سياسة القهر والإخضاع التى تتبعها دولتهم ضد الشعب الفلسطينى . ولقد دارت هذه المناقشة يومين بعد التفجير الانتحارى البشع الذى وقع في أحد الكازينوهات فى "نتانيا" على بعد أميال قليلة من تل أبيب، وقبل يوم من إعلان رئيس الوزراء الإسرائيلى "شارون" أن الرئيس "عرفات" عدو له، لتبدأ عملية حائط الدفاع والاعتداء الوحشى على "رام الله" وأدرك الشابان أن كل شىء فى سبيله لمزيد من السوء والتدهور بالنسبة للفلسطينيين الإسرائيليين، وكانا فى حاجة لمعرفة وتقرير. ماذا سيفعلان بعد ذلك.

وكانت نصيحتى بسيطة، اجعلاها حركة ذات قضية واحدة، ووسعا من القاعدة لتضم النساء والرجال من كل طبقة، والإسرائيليين من كل طائفة، وحافظا عليها داخل الأسرة، بعد ذلك خاطبوا السلطة بالحق.

وأثناء ما أكتب هذا المقال، كان عدد الرافضين فـى الجيش الإسرائيلى قد بلغ (٣٧٠) مجنـداً وضابطـاً، وينضـم إليهم أسبوعيا حوالى عشرة أفراد من نفس فئاتهم.

وقد تسهم أحداث الأسبوع المـاضى فـى زيـادة هـذا المعدل، وقد تؤدى إلى عكس ذلك، لن نستطيع معرفة ذلـك وسألتهما عن السبب الذى دفعهمـا إلـى فصـل نفسيهما عـن إخواتهمـا وأخواتهمـا فـى جيش الدفـاع الإسـرائيلى، ليجلبـا على نفسيهما غضـب وتشـوش أبويهمـا وأميهمـا، والأحكـام بالسجن من قبل الحكومـة. ومـا الـذى جعلهمـا يرتكبـان مـا يتسـبب فـى أن يتهمـا فـى أفضـل الأحـوال بالسذاجة، وفـى أسوأها بالجبن وكراهية اليهود؟

وفى الواقع هذا ما يواجهه هذان الشابان يوميا على صفحات الجرائد الإسرائيلية وفى بيتيهما. قالا أن عيونـهمـا قد فتحت وعقليهما قد تغيرا، عندما كلفا بالخدمة فى الضفـة الغربية وغيرها من الأراضى الفلسطينية وهناك رأيا كل ما رأيته وزملائى الكتـاب فـى وفـد البرلمـان الدولـى للكتـاب، خلال الأيام الخمسة ونحن نسافر من "تـل أبيـب" إلـى "رام الله"، مارين بمدن الضفة الغربية، وقـد دخلنـا "غـزة" حيـث قمنـا بزيـارة معسكرات اللاجئين، محدقيـن فـى حـزن إلـى الدمار الشديد الذى لحـق بكـل مـا فـى الجـوار مـن منشـأت

وقرى، وشاهدين تعمد الإهانة والإذلال المتكرر عند نقاط التفتيش، وكذلك رأينا لأول مرة المصفحات المرعبة، والهيمنة، والاعتداءات والانتهاكات التى تقوم بها المستوطنات اليهودية.

لقد سافر وفدنا إلى الشرق الأوسط وهو يضم كتابا من أربع قارات، فمن أفريقيا أتى الكاتب النيجيرى (وول سوينكا)، والشاعر الجنوب إفريقى (براتين براتينباخ). ومن الصين الشاعر المنشق (باى داو)، ومن أوروبا الروائى الإسبانى (خوان غتسيلو)، والروائى البرتغالى (خوزيه ساراماجو)، والروائى الإيطالى (فتشيزوكونصلو) والكاتب الفرنسى - سكرتير البرلمان - (كريستيان سولمون)، ومن أمريكا الشمالية أنا - روائى من الولايات المتحدة الأمريكية ، وجئنا جميعا بناء على طلب من أحد أعضاء البرلمان، وهو الشاعر الفلسطينى الكبير (محمود درويش) ، للتعبير عن تضامننا معه ومع زملائه الشعراء والكتاب الفلسطينيين ، والذين يعيشون ويعملون فى ظروف أقرب إلى الإقامة الجبرية فى المنازل.

و"درويش" وزملاؤه، يعيش أغلبهم فى رام الله وأراضى السلطة الفلسطينية ، طوال عام ونصف العام تحت ظروف نعتقد أنها لا تطاق، ظروف يجب أن ندينها نحن الذين نعيش أحراراً.

ويتوازى مع تعبيرنا عن التضامن مع درويش وزملائه وشهادتنا على الظروف الرهيبة التى يعيشونها، تعبيرنا كذلك عن التضامن مع الناس الذين سجلت ممارساتهم اليومية ومعاناتهم وتاريخهم فى شعر وقصص الأدباء الفلسطينيين .

لقد جئنا إلى أراضى السلطة الفلسطينية لنرى بعيوننا ونسمع بإذاننا ما يحدث للشعب الفلسطيني.. هكذا مررنا معهم عبر نقاط التفتيش ، مررنا إلى جوار النساء العجائز والبقالين والحوامل والأمهات وقد حملن أطفالهن الرضع، وتلاميذ المدارس المرعوبين، وكثير من الرجال والنساء الذين يعملون فى "تل أبيب".. جميعنا أجبرنا على السير لمسافة نصف ميل فى الشمس المحرقة، أجبرنا جنود إسرائيليون متحجرو الوجوه ومدججون بالسلاح دخلنا الشوارع الضيقة. والأزقة فى "رام الله"، وشاهدنا البيوت والمنشآت العامة المدمرة فى معسكرات اللاجئين بالضفة الغربية وغزة، انصتنا إلى الطلبة ورأينا دعم الكلية لهم فى معارضتهم العرمة لجامعتهم المحبوبة فى "بيرزيت" ورأينا مرعوبين الإيقاع المتسارع الذى تتسع به المستوطنات. وشاهدنا ما تعانيه الغالبية الفلسطينية من فقر وضعف.

هكذا تجلت الإحصاءات المروعة على وجوه

الناس، وكذلك ظهرت جذور اليأس المفضـــى إلـى الانتحـار وذات مساء فى "رام الله"، وبعد تنـاول العشـاء فـى ضيافـة "محمود درويش" وغيره من فنانى ومثقفى المدينة، خرجـت للتمشية برفقة الروائى الفلسطينى (عـزت الغـزاوى)، حتـى وصلنـا إلـى تلـة مرتفعـة خلـف الفنـدق شـاهدنا مـن فوقهـا الوادى تحت ضوء القمر. وأشار رفيقى إلى "القدس"، علـى مبعدة سبعة أميال، تومض كما لو كانت مركز الكون، فهـى العاصمة البراقة لكل أمم العالم الدينية.

ترجمة: ياسر شعبان
نقلاً عن أخبار الأدب

الغزو المسلح .. لا سلام في بيت لحم

روبرت فيسك يكتب من بيت لحم

لو كانت تلك حربا ضد الإرهاب، لما ولد يسوع هنا في بيت لحم.. أول الضحايا شيخ فلسطيني يبلغ من العمر ٨٠ عاما، لم يعرف الجثمان طريقه إلى الدفن.. ثم أصيبت سيدة وولدها إصابات بالغة بعد فتح النيران الإسرائيلية عليهم!

سحب من الدخان الأسود ترتفع فوق المعبد تنقلها الرياح من الجانب الآخر لميدان "المعلف" كانت هناك عربة مصفحة تحترق .. هكذا يقولون ولا أعلم الحقيقة فقد كنا نجري هربا من وابل الرصاص الذي انهال علينا من كل جانب بأسفل كنيسة يسوع المسيح.. كان الجو يصدح باصوات المفرقعات والرشاشات .. والأمطار تندفع في شكل موجات علي الدبابات الإسرائيلية التي زحفت بين المنازل الباقية منذ العصر العثماني .. تحطم السيارات وتدهس المخازن والمحلات.. ولا تزال مدينة بيت لحم الصغيرة صامدة، شوارعها الغارقة في الظلام اخليت

لتكون أكثر أمنا للإسرائيليين ولكن لا أحد يستطيع أن ينام ويحلم .. كنا مختبئين في غرفة صغيرة مع نورما حزبون - أستاذة العلوم الاجتماعية بجامعة بيت لحم .. وقتها كان يصل إلي أذاننا أصوات الدبابات "الميركافا" وهي تقتحم شارع "قوتا" علي بعد ٦٠٠ ميل فقط من الموضع الذي ولد فيه يسوع ليكون رمزا وعلامة علي أمال ومخاوف السنوات الطويلة الماضية...

أوسلو .. "السلام".. "والاحترام المتبادل".. أوصلونا إلي الذي نحن فيه الآن! الإسرائيليون أعلنوا بيت لحم منطقة عسكرية مغلقة .. اعتقد ان يسوع كان عليه أيضا في الماضي ان يختبر تلك المناطق العسكرية ولكن علي الطريقة الرومانية .. كان الله يقف بجانبه.. والبارحة لم يكن سكان بيت لحم يجدون أحد إلي جوارهم!!

كانوا في انتظار كلمة من البابا أو الفاتيكان أو حتي الاتحاد الأوروبي... ولكن ما حصلوا عليه لم يكن سوي غزو المدرعات.. شاهدناهم صباح اليوم في دبابات الميركافا وال ايه بي سي يعبرون الطرق الأثرية باحثين عن "طغاة الإرهاب" التي أخبرنا ارئيل شارون عنها من قبل..

ومن شاشة التليفزيون الموضوع علي النافذة في غرفتنا الصغيرة شاهدنا فلسطين تسقط من حولنا.. مكاتب

المخابرات الفلسطينية هوجمت في رام الله.. والفلسطينيون يقولون ان مئات الأطفال والنساء حوصروا وهم يحتمون بالبنايات مع الرجال.. ثم بدات الصواريخ تنهال علي معسكرات الدهيشة للاجئين الفلسطينيين.. كنا قد علمنا بذلك فقد كانت الدهيشة قريبة للغاية حتي ان زجاج النوافذ ارتج وقت الهجوم عليها..

لا يزال تليفزيون بيت لحم يعمل علي بعد بضعة مئات من الامتار منا .. الإسرائيليون لم يصلوا إلي هناك بعد! ثم ها هو شارون يظهر علي الشاشة الآن.. كان يعرض علي ياسر عرفات ان ترسل إليه أوروبا بطائرة تنقله خارج رام الله في مقابل العودة إلي تلك الارض التي يدعوها فلسطين.. وعودة الي عام ٨٢ شارون يكرر ما سبق وان فعله من قبل مع عرفات.. وقتها نقل عرفات من بيروت بمساعدة الأمريكيين.. ولكن ليس هذه المرة.. لقد رفض العرض!

وابل الرصاص خارج نوافذنا.. دبابة تعبر الطريق .. عجلاتها تدهس الأشجار الخضراء أما أحد المحلات وثم يتوجه مدفعها ويصوب باتجاه نوافذنا.. اندفعنا بعيدا عن النوافذ إلي السلالم.. هل شعروا بنا نراقبهم! وعند أسفل السلالم بقينا ثم عدنا نشاهد ما يحدث من النافذة.. اثنين من

الجنود الإسرائيليين يتفقدون المنزل من الخارج في حين اتجهت الدبابة الي الجنوب..

نعلم كل شيء عن هذه الدبابات.. سرعتها القصوي وصوت محركاتها المدوي.. أحدهم جاء ليتفحصنا.. وقفنا ونحن نرتدي سترات كتب عليها (تي في) بالأحرف الكبيرة ورفعنا أذرعنا مثل البط ليتاكدوا انه لا أسلحة معنا .. وفي كل مرة ندخل شارعا صغيرا فهناك جندي علي مدرعة يتبعنا..

وعندما اقتربنا من ميدان "المعلف" كانت الدبابات أمامنا .. هنا فتحت النيران .. الرصاصات كانت قريبة منا.. من الإسرائيليين؟؟ نعم .. فلا يمكن ان تنطلق من الجانب الفلسطني لانهم كانوا علي مقربة منا.. جرينا عبر الشارع حيث حارة ضيقة... حيث كانت أستاذة الجامعة حزبون التي تركت لنا المنزل مفتوحا.. كم شعرنا بالدف ونحن نلتف حول موقدها المشتعل! وكم كنا محشورون في تلك الغرفة الضيقة.. وكم شعرنا بالضعف من عدم قدرتنا علي الحركة!! تحول التليفزيون إلي شاهد علي التشتت الفلسطيني.. كان قارئ النشرة يتعلثم .. "إيران والعراق تهددا بوقف تصدير البترول للضغط علي الولايات المتحدة لتطالب بالانسحاب الإسرائيلي .. مكاتب المخابرات في رام الله تحت وابل الرصاص.. جندي إسرائيلي أصيب داخل

دبابته علي الجانب الآخر من ميدان "المعلف" الفلسطينيون اطلقوا عليه صاروخا.. ٧٠٠من المسجونين اصطفوا وهم معصوبي العينين ومقيدين في رام الله.. كولن باول وزير الخارجية الأمريكي يصر علي الاعتراف بعرفات كزعيم فلسطيني وستظل تعترف به سواء كان في أوروبا أو في أي مكان آخر.."

الدخان يرتفع فوق ميدان المعلف.. الدبابة اعتلت الرصيف وربطت بجانب المنزل .. مذيع بالتليفزيون بذقن لم تحلق بعد، يرتدي جاكيت من الجلد ، وبدا عليه الإرهاق .. بدا يقرا رسالة جماعة شهداء الأقصي الد أعداء شارون .. فهؤلاء هم المنتحرون الأشقياء الذين يفجرون انفسهم .. ويصدمون إسرائيل.. "سوف نصمد كما قال أبو عمار لنيل الشهادة .. كي يدرك العدو!" في الخارج بجوار مجموعة من أشجار الليمون توقفت مدرعتان .. كان الطاقم الإسرائيلي يحاول باستماته ان ينقل الوقود من مدرعة إلي أخري عندما بدا فلسطينيون يطلقون النار عليهم .. الرصاص تطاير من حولهم والجنود المفزوعين احتموا تحت سقف أحد المحلات..

هاتفي المحمول يرن.. صوت إنجليزي لسيدة من "ويترنجبيري" من كينت.. لم تكن ليزا ياتس تتحدث من كينت .. كانت علي بعد أميال قليلة منا ... في مخيم

عايدة- ؟؟ايادي؟؟ للاجئين معهـا تسـعة غربيين اثنين من فرنسا والسويد وخمسة من الولايات المتحدة.. رفضوا ان يغادروا.. صوتها الذي يمزج بين الخوف والتصميم تقول "نود ان نساعد أربعة آلاف من الفلسطينيين اللاجئين هنا.. الجميع يعتقد ان الإسرائيليين قادمون.. ووعدناهم ان نظل معهم حتي ياتوا.. فسوف يكون ذلك نوعا من الحماية لهم.. نطالب ممثلينا ان يضغطوا علي الإسرائيليين لينسحبوا"

بعض الأمل!! منذ يوم واحد فقط فتح جندي إسرائيلي النار علي مجموعة من المتظاهرين الغربيين بالقرب من بيت لحم.. ليصيب حوالي خمسة منهم امام كاميرات البي بي سي وقبل ان يحاولوا إطلاق النيران علي مراسلة التليفزيونية اورلا جيورين .. كنا نفكر بهذا الأمر عندما كان الرصاص يندفع باتجاهنا في شارع بوسط بيت لحم.. وفكرنا في الأمر مجددا عندما فتح علينا النيران منذ قليل وقبل ان نختبئ في هذه الغرفة..

وقبل ان نودع الأستاذة حزبون، تلقيت مكالمة هاتفية من سيدة أمريكية من غزة تعمل مع منظمة لحقوق الإنسان هناك .. لم يعد باستطاعتها الوصول إلي مخيمات اللاجئين برفح .. كانت تقوم بطبع ملفات من علي أجهزة الكمبيوتر الخاصة بالمنظمة في حالة إذا ما اقتحم

الإسرائيليين المكان .. "الجميع يعتقدون ان الإسرائيليين قادمون" نعم هم قادمون .. هل يهتم الانتحاريون؟

سرنا مثل الإنسان الألي من عبر تلك الشوارع الخطرة.. كان الأمر شبيه بتلك الأيام التي اهين فيها عرفات وغزا فيها شارون غرب بيروت.. شارون كان المتحكم في زمام الأمور هناك ايضا... الاسرائيلون في حالة حرب علي الإرهاب.. هكذا يردد.. المدنيين قتلوا بالآلاف ثم كانت مذبحة صبرا وشاتيلا التي قادها حلفاء إسرائيل.. وتساءلت متي ستبدا المذبحة هنا؟؟

في

٢٠٠٢/٤/٤

المعركة الدموية في بيت لحم

أجساد متعفنة في بيت لحم .. الجنود الإسرائيليين يحاصرون المدنيين الفلسطينين والمسلحين في المكان الذي ولد فيه يسوع.. هياكل عظمية لم تدفن بعد في رام الله.. والحرب الأخيرة لإسرائيل تتحول إلي تراجيديا سياسية وإنسانية مع انهيار ما تبقي من أوسلو ..

ليومين والعمليات الاستشهادية قد صمتت.. ولكن الأسابيع القادمة سوف تقرر مستقبل الأرض المقدسة

لسنوات طويلة..

تحولت كنيسة الميلاد إلي أرض للاقتتال .. هل لازال هناك شيئا مقدسا! .. التفاصيل غامضة كغموض الدخان الذي لا يزال يتصاعد بالقرب من ميدان المعلف (المانجر) .. المسؤلون المسيحيون تحدثوا إلي ما لا يقل عن ١٠٠ من المدنيين الفلسطينيين الذين لم يجدوا سوي حرم الكنيسة ليختبئوا فيه .. في الموضع الذي يعتقد ان يسوع ولد فيه.. في الاسطبل..

معهم علي ما يبدو كان هناك ما لا يقل عن ١٠ من رجال مسلحين ينتمون إلي حركة "تنظيم".. الجيش الإسرائيلي حاصر الكنيسة بالدبابات.. وطبقا لمصادر إسرائيلية فان رجال التنظيم فتحوا النيران علي جنود الاحتلال.. الفلسطينيون انكروا ذلك! ولكن لا يوجد أحد يستطيع ان ينكر المجزرة التي وقعت في أماكن أخري.. تلقيت مكالمة هاتفية البارحة بعد الظهيرة من سامي عبدا.. قال لي انه في يوم الثلاثاء الماضي اقتحم الجنود الإسرائيليون منزله في وسط بيت لحم ورغم تحذيرات جيرانه بأن هناك أطفال ونساء بالمنزل، إلا أن الجنود فتحوا النيران علي المنزل زاعمين ان هناك "إرهابيين" يختبؤن بالمنزل..

سامي كان يبكي وهو يتحدث إلي وهذه هي كلماته بالضبط: "اطلقوا ثمانية عشرة طلقة علي الباب الأمامي للمنزل.. أصابوا أمي سامية وأصابوا شقيقي يعقوب.. والدتي كانت في الرابعة والستين واخي كان في السادسة والثلاثين ... الاثنان سقطا علي الأرض.. ناديت علي كل من اعرفهم وصرخت لانقلهم إلي المستشفي ولكن لم يكن هناك أحد! كانوا يموتون أمامي.. وعندما حضرت سيارة الأسعاف منعها الضابط الإسرائيلي من الدخول حتي لشارعنا.. ولمدة ثلاثين ساعة عشنا مع أجسادهم.. وضعنا الأطفال في دورة المياة حتي لا يروا الجثث.. ساعدنا ارجوك"

وهذا ما يجعل السؤال أكثر إلحاحا... ما الذي تبقي لان يكون مقدسا؟ وسوف تتساءل مجددا إذا ما قرات ما نشرته جريدة الجيروزلم بوست هذا الأسبوع علي صفحة كاملة .. صورا لعشرات من المدنيين الإسرائيليين في شهر واحد وقد تحولت أجسادهم إلي اشلاء بعد عملية انتحارية لفلسطين .. الفتاة الإسرائيلية التي قتلت كانت في نفس عمر الفتاة الفلسطينينة التي دمرت حياتها.. كانت صفحة مليئة بالماسي المفزعة..

ونعم الحرب ترفع وتيرة التراجيديا الإنسانية .. فكما كان سامي عبدا يحاول ان يحمي أطفاله من دماء

جدتهم وعمهم، فتح الجنود النيران علي طبيبة شابة أمام منزلها وبجنين .. كانت في الثلاثين من عمرها.. وعندما انتهت الدبابات الإسرائيلية واستعدت للتوجه إلي شمال الضفة الغربية قوبلوا بوابل من الرصاصات من قبل الفلسطينيين...

غزوا سلفات ايضا ومئات من الدبابات قامت بغزو نابلس المدينة القديمة وبكل ما فيها من مكاتب السلطة الفلسطينية وشوارعها الضيقة..

في رام الله اضطر المسؤلون بالمستشفي الذين ضاقوا بالحصار الإسرائيلي اضطروا الي دفن ٢٥ جثة بحديقة المستشفي .. فهم لا يسمحون حتي بدفن الجثث..

والفلسطينين يطلبون المساعدة .. من اين ستاتي المساعدة؟؟ وبعد قتل خمسة من رجال الشرطة الفلسطينيين في غرفة صغيرة برام الله.. قالوا : كانت معركة بالأسلحة .. ولكن الرصاصات التي قتلتهم توكد انها انطلقت من مسافة قربية للغاية وكان اثنين من الضباط الفلسطينين في منتصف الخمسينات ..

ألف سجين واكثر ولا أحد يعرف أماكنهم عما اذا كانوا أحياء أم لا ! وبعضهم نقل إلي مستوطنة إسرائيلية قبل ان ينقلوا من جديد إلي مكان آخر مجهول!

بعد ذلك نتساءل .. هل تستهدف دولة إسرائيل تدمير أي أمل في دولة فلسطينية؟ باقة صغيرة من زهور الأمل ظهرت في الصقيع والأمطار في نقطة تفتيش خارج رام الله.. في كلانيديا.. عندما وصل عدد من عرب إسرائيل ويهود إسرائيل ومتظاهرين غربيين يطالبون بالسلام ونهاية الاحتلال الإسرائيلي.. إلا أن تلك الشجاعة وللأسف لم يلاحظها أحد ولم يعترف بها أحد!

هناك حياة بعد الحرب! ولكن هل ستكون فلسطين هناك؟ وهل يري العالم فلسطين كما سبق وان رائوا من قبل كوسوفو والبوسنه وتيمور الشرقية ؟؟

حنان عشرواي .. واحدة من الشخصيات الفلسطينية القليلة التي تتمتع بالمصداقية.. وهي ايضا من الأصوات القليلة العاقلة في زمن الحرب!

قالت لي بعيونها المرهقة والتي تبقيها مفتوحتين بتلك القهوة التي ترتشفها "ان اتفاقية أوسلو قد دمرت نهائيا.. شارون وبإصرار وكما كان يقول دوما انه أراد الا يبقي علي أوسلو .. وإعادة الاحتلال تلك كان مخططا لها منذ اشهر عدة .. ولكن شارون يفتقر إلي أن يقيس أو يتوقع نتائج أفعاله .. ومحاولة التخلص من عرفات جاءت بنتائج عكسية.. فقد منح عرفات المزيد من الشرعية بين

الفلسطينين.. الجميع الآن .. اليسار واليمين والمعتدلين والأصوليين والإسلاميين الجميع يلتفون حوله .. لذا لا تتوقع ان تطرح ايه أسماء اخري لزعامة وقيادة فلسطين"

هل هذا صحيح؟؟ هل تحول ضعف عرفات إلي مصدر لقوته ؟ وهل تحولت القوة الحربية التي لشارون إلي ضعف؟ وإذا كان الجيش الإسرائيل يحقق انتصارا بالفعل، فلما لا يدعون الصحفيين يشهدون علي انتصارهم الساحق؟

في الوقت الذي يتوخي فيه الأوروبيون ومجلس الأمن والجامعة العربية الحذر في تلك اللحظة الحاسمة في تاريخ الشرق الأوسط.. فان الحرب الأخيرة لعالم الاستعمار القديم.. بين شعب يزرع مستوطناته وشعب محتل، هذه الحرب تشهد أخطر مراحلها الآن...

ترجمة ماجى ميشيل

في يوم من الأيام كانت جنين هناك!
شهادة الاندبندنت عن مذبحة جنين

ما الذي حدث بالضبط عندما اقتحمت القوات الإسرائيلية جنين؟

في الوقت الذي فقد فيه العالم الأمل في كشف الحقيقة.. ***جوستين هاجلر وفيل ريفييز*** *كشفوا عن دلائل مثيرة لمثل هذا الشر الأعظم ..!!*

الفكرة لا شك فيها عندما خرجت إلينا رائحة الموت من بين الانقاض... هل كان هذا بالفعل عملا لمجابهة الإرهاب؟ هل كان ثأرا ؟؟ أم أنه كان إحدي الحلقات الأكثر وحشية من حرب ارئيل شارون الممتدة .. المعادي لاتفاقية أوسلو والذي يسعي جاهدا لضم الضفة الغربية لاسرائيل كوضع دائم وارغام الفلسطينين علي الخضوع النهائي..

البنايات بالجوار سويت بالأرض .. طحنت تحت سيور الدبابات والبلدوزرات... متاهة من منازل متفحمة .. كانت يوما مسكنا ل ٨٠٠ من العائلات الفلسطينية.. اختفت تماما.. ماذا بقي؟ خرسانة متكسرة ومتعلقات مبعثرة..

الحطام في جنين انبعثت منه رائحة عفن.. بما تحمله تلك الكلمة من معني.. تعفن جثث بشرية دفنت تحت الأنقاض.. فضحت أخطاء الجيش الإسرائيلي .. جيش وحكومة فقدت الرشد!

مبعوث الأمم المتحدة في الشرق الأوسط ترجي رود لارسين قال وهو يحملق في المشهد أمامه "هذا أبشع من أي تصور" ... واطلق عليه "نقطة سوداء لن تمحي في تاريخ إسرائيل للأبد" وكان تصريحه كافيا لان يوبخه الإسرائيليون... حتي مبعوث الولايات المتحدة المعروف عنه حرصه الشديد قال بينما كان يمر بين الأنقاض "من الواضح ان ما حدث في مخيم جنين للاجئين تسبب في معاناة هائلة لآلاف الأبرياء من الفلسطينيين المدنيين."

الجيش الإسرائيلي أصر علي أن غزوه المدمر لمخيم اللاجئين بجنين في بداية هذا الشهر كان الغرض منه اقتلاع البنية التحتية للمسلحين الفلسطينيين خاصة هؤلاء مؤلفي سلسلة الهجمات الانتحارية المتصاعدة ضد الإسرائيليين .. الآن إسرائيل تقول ان الأموات معظمهم من المجاهدين.. وكالمعتاد وبالرغم من ان سلوكها اليومي بالأراضي المحتلة يتناقض مع ما تدعيه.. فانها اصرت علي انها بذلت اقصي ما في وسعها لحماية المدنيين..

الاندبندنت حفرت تحت الأرض لتكشف عن قصة أخري ..

وجدنا انه في الوقت الذي دمر فيه الجيش الإسرائيلي المنظمات المسلحة في الوقت الحالي علي الأقل فانه ما لا يقل عن نصف الفلسطينيين الذين لقوا مصرعهم وتم التعرف عليهم كانوا من المدنيين منهم النساء والأطفال والشيوخ.. ماتوا وسط عملية بطش ووحشية إسرائيلية ووقعت فيها مآسي تسعي إسرائيل الآن لدفنها واخفائها بواسطة البروباجندا..

الهجوم الإسرائيلي على مخيم جنين بدأ في الثالث من أبريل.. وقبلها بأسبوع وعلي بعد ٣٠ ميل غربا في المدينة الساحلية الإسرائيلية نتانيا، فجر منتمي لحركة حماس نفسه وسط فندق بين إناس كانوا يجلسون هناك يحتفلون بعيد الفصح .. كانت تلك المذبحة التي وقعت في واحدة من أقدس الأيام عند اليهود قد أردت ٢٨ قتيلا من الشباب والشيوخ لتكون الأسوء منذ بداية الانتفاضة الفلسطينية .. الدقيقة الأعظم شرًا حتي علي مستوي الصراع بين الشعبين..

ارئيل شارون رئيس الوزراء الإسرئيلي ووزراءه ردوا بتفعيل خطة رقدت طويلا داخل درج مكتبه.. عملية

الدفاع الواقي لتصبح أكبر عملية عسكرية وقائية لإسرائيل منذ عام ٦٧.. وكانت جنين أعلي القائمة المستهدفة .. وموطنا لحوالي ١٣ ألف من الفلسطينيين .. وكانت قلب المقاومة الأعنف ضد إسرائيل طوال ال ٣٥ عاما من الاحتلال..

المنشورات التي غطت الجدران كتب عليها شعارات حماس وفتح والجهاد الإسلامي .. الإسلاميين الراديكاليين والقوميين العلمانيين كانوا يعملون جنبا الي جنب لمحو أيه اختلافات بينهم تحت اسم واحد هو الانتفاضة!

طبقا لإسرائيل هناك ٢٣ من الذين قاموا بعمليات تفجيرية انتحارية خرجوا من هذا المخيم والذي تحول الي مركزا لصناعة المتفجرات.. ولكن كان هناك مدنيين كثيرون .. اناس مثل عطية رميلة وعفاف دسوقي واحمد حمدوني..

الجيش كان يتوقع انتصار سهل وساحق .. فهي المتفوقة من حيث العتاد .. دبابات الميركافا والمدرعات والبلدوزرات وطائرات الهليكوبتر الكوبرا المزودة بالصواريخ ومدافع ثقيلة.. يقف أمام تلك القوات ٢٠٠ من الفلسطينيين بينهم أعضاء من حماس وكتائب شهداء

الأقصي والجهاد الإسلامي يقاتلون مع قوات أمنية تابعة لياسر عرفات مزودة بمدافع كلاشينكوف ومتفجرات..

قتال الفلسطينيين كان بمثابة صدمة للإسرائيليين.. ثمانية أيام بعد دخولهم وأخيرا تمكن الجيش الإسرائيلي من التوغل لكن بثمن باهظ.. ٢٣ من الجنود قتلوا و١٣ منهم انهكوا من وطاءة الاختفاء والتربص..وقتل عدد غير معروف من الفلسطينيين .. مساحة واسعة ما بين ٤٠٠ إلي ٥٠٠ ميل دمرت بالكامل .. مشاهد تعلم إسرائيل جيدا انها ستستثير العالم ما ان تدخل كاميرات التليفزيون .. أحد جنود الاحتياط والذي بدا عليه الانهاك قال وهو يحزم حقائبة استعدادا للعودة "لم نتوقع ان يقاتلوا بتلك القوة".. وانتهي الاقتتال في العاشر من أبريل، منع الجيش رجال الانقاذ والصحفيين من الدخول لخمسة ايام كاملة لحين ينتهي من تنظيف المكان..

الاندبندت قضت خمسة ايام تتجول فيه بين الانقاض وتقوم بحوارات مع الفارين من جنين والأحياء منهم بمصاحبة بيتر بوكيريت أحد الباحثين في منظمة "مراقبة حقوق الإنسان" .. عدد كبير من اللقاءات كانت تدار داخل البنايات التي كانت علي وشك الانهيار وفي غرف المعيشة التى نسفت جدرانها بفعل ضربات البلدوزر

وجعلتها مفتوحة علي الشارع..

صورة ملحة تعكس ما وقع بالفعل... إلي الآن هناك ٥٠ من القتلي تم التعرف عليهم .. الاندبندنت لديها قائمة بالأسماء.. الفلسطينيين كانوا سعداء بل وفخورين ان يخبرونا أي من الذين قتلوا كانوا أعضاء بحماس أو الجهاد الإسلامي أو شهداء الأقصي .. وأيا منهم كان ينتمي إلي قوات الأمن وأي منهم كانوا من المدنيين .. نصف الذين تم التعرف عليهم هم المدنيين..

الذين لقوا حتفهم من المدنيين لم يكن من علي خط النيران.. بعضهم وطبقا لشهود العيان كانوا مستهدفين من قبل القوات الإسرائيلية .. سامي أبو صعب اخبرنا كيف ان والده محمد ابي صعب الذي يبلغ من العمر ٦٥ عاما كيف أطلق عليه النيران بعد ان حذر قائد البلدوزر ان منزله معبأ بأسر محتمية به.. البلدوزر استدار عائدا ولكن والده أطلقت عليه النيران لتصيبه في الصدر حيث كان واقفا..

القوات الإسرائيلية أطلقت النيران أيضا علي ممرضة فلسطينية كانت تحاول تقديم المساعدة لمجروح.. هاني رميلة البالغ من العمر ١٩ عاما اطلق عليه الرصاص بينما كان يبحث عن مخرج .. فدوي جاما الممرضة التي كانت تعيش بالجوار مع اختها سمعت صرخات هاني وهو

يطلب المساعدة.. شقيقتها روفيدا دماج والتي اسرعت أيضا للمساعدة أصيبت أيضا ولكن نجت .. ومن علي فراشها بمستشفي جنين اخبرتنا بما حدث..

"استيقظنا في الثالثة والنصف صباحا علي صوت انفجار هائل.. سمعت صوت احدهم خارج منزلنا .. كان علي انا واختي ان نقوم بواجبنا ونقدم له المساعدات الأولية.. كان هناك مجموعة أخري من الفتية من المقاومة كان علينا ان نستشيرهم قبل ان نخرج.. قلت لهم ان اختي ممرضة وسألتهم ان نذهب لنساعد الشخص المجروح.. وقبل ان انهي كلامي مع الفتية بدأ الإسرائيليون في اطلاق النيران.. اصابتني رصاصة بالساق فسقطت وكسر كاحلي.. سارعت اختي الي .. قلت لها انا اصبت فقالت انني مصابه أيضا.. اصيبت بطلق ناري بجانب المعدة.. وعندما سالتها اين اصبت لم تجب علي .. خرج منها صوت فظيع وحاولت التنفس ثلاث مرات.. كانت الآنسة جاما ترتدي زي الممرضات وعليه علامة الصليب الأحمر المميز عندما اطلق عليها الرصاص.. والآنسة دماج قالت ان الجنود راءوا المرأة لانها كانت تقف تحت بقعة مضيئة وإنهم سمعوا أصوات الاستغاثة لانهم كانوا "قريبين جدا" وعندما كانت الآنسة دماج تصرخ للمقاتلين الفلسطينيين

طلبا للمساعدة ، أطلق الإسرائيليون النيران مرة أخري.. طلقة أخري مرت من علي ساقيها إلي الصدر...

وسمح لعربات الأسعاف ان تدخل لتنقذ الآنسة دماج.. كانت اختها قد لقت مصرعها بالفعل.. وكانت تلك من المرات الأخيرة التي سمح فيها لسيارات الأسعاف بالدخول إلي أن انتهي القتال في المخيم .. هاني رميلة نقل الي المستشفي ولكنه مات هناك.. بالنسبة لزوجة ابيه كانت تلك هي أولي الأحداث التراجيدية ففي اليوم التالي قتل زوجها عطية البالغ من العمر ٤٤ عاما وكان من المدنيين..

كانت تخبرنا بالقصة عندما قفز احد اطفالها اليتامي علي ذراعها "كان هناك سيل من الطلقات حول المنزل؟؟ في حوالي الخامسة عصرا .. ذهبت لاتفحص المنزل..اخبرت زوجي ان هناك قنبلتين اصابتا البناية.. فذهب هو ايضا ليفحص الأمر.. وبعد دقيقتين نادي علي لأتي لكنه كان يجد صعوبة في ذلك.. ذهبت مع الأطفال .. كان يقف هناك .. لم اراه في حياتي ينظر إلي هكذا.. قال "لقد أصبت " وبدأ ينزف من فمه وانفه.. بدأ الأطفال يبكون وسقط هو.. سألته ما الذي جري.. لم يجب!

"كانت عينيه علي الأطفال .. نظر إليهم الواحد تلو

الآخر .. وبعدها نظر إلي .. بدأ جسده يهتز باكمله.. ووقتها وجدت ان الطلقة قد اصابت راسه.. حاولت ان أطلب الأسعاف .. جاء احدهم ولكنه عاد بسبب الإسرائيليين.."

كان اليوم الخميس الرابع من أبريل ويومها بدأ الحظر علي أسعاف المصابين.. لم تستطع السيدة رميلة ان تخرج لتفتش عن المساعدة والقتال يشتد بالخارج.. عقدت حبلا من اغطية الراس واخرجت ابنها الصغير ذو السبعة أعوام من النافذة الخارجية ليذهب ويطلب المساعدة.. كانت العائلة خائفة من وابل الرصاص فظلوا محبوسين بالداخل مع الجثة لأسبوع كامل.........

وسمعنا قصة عفاف دسوقي .. شقيقتها عائشة اخبرتنا كيف قتلت تلك السيدة التي تبلغ من العمر ٥٢ عاما عندمازرعوا لغم امام باب منزلها.. وعندما سمعت السيدة عفاف صوت الإسرائيليين أمام الباب ذهبت لتفتحة.. عائشة أشارت إلي بقايا اللغم لنراه.. العائلة صرخت لطلب المساعدة ولكن لم يكن لأحد ان يدخل..

اسمهان مراد جارة أخري اخبرتنا ان الجنود استخدموها كدرع بشري عندما ذهبوا لينسفوا منزل دسوقي .. ذهبوا إلي منزل المراة الشابة أولا أمروها ان تتقدمهم

حتي لا تطلق النيران عليهم..

جمال فايد توفي أيضا بعد ان دفن حيا تحت الانقاض.. عمه صعب فايد اخبرنا ان جمال البالغ من العمر ٣٧ عام كان معوقا ذهنيا وقعيدا .. لم يكن يستطيع السير.. كانت الأسرة تنقله من منزل إلي آخر خوفا عليه من القصف .. وعندما راي السيد فايد البلدوزرات الإسرائيلية تقترب من المنزل الذي يحتمي فيه ابن اخيه أسرع ليحذر السائق .. البلدوزر اخترق الجدار الذي انهار علي جمال..

في الوقت الذي قامت اسرائيل باخلاء جنين من المدنين، استخدمت بعضهم كدروع بشرية.. راجح توفيشي البالغ من العمر ٧٢ عاما اخبرنا ان الجنود قيدوا يديه وقادوه ليسير أمامهم عندما كانوا يقومون بتفتيش المنازل.. قبلها بدقائق اطلقوا النيران علي أحمد حمدوني رجل في الثمانين من العمر أمام عيون توفشي.. السيد حمدوني طلب الحماية بمنزل توفيشي ولكن الإسرائيليين قصفوا مدخل المنزل ... فسقط الباب الحديدي بينهم .. هل توفي حمدوني لان شيخوخته لم تحتمل.. أم كما يقول توفيشي ان الإسرائيليين اطلقوا النيران عليه لانهم تصوروا ان توفيشي يحمل متفجرات..

حتي الأطفال شملهم البطش الإسرائيلي .. لم يكن لديهم مناعة.. فارس ذبين ١٤ عام أطلق عليه الرصاص عن قرب.. لم يكن هناك قتال .. فقد كان الحظر قد رفع عن جنين لمدة ساعات قليلة وذهب الصبي ليبتاع أشياء من البقال.. كان ذلك في يوم الخميس ١١ أبريل.. شقيق فارس واسمه عبد الرحمن ثماني اعوام كان معه عندما قتل.. كانت عيني عادل القلقة تنظر الي الارض عندما اخبرنا بما حدث..

"كنت انا وفارس وصبي اخر.. وبعض النسوة الاتي لا اعرفهن.. طلب مني فارس ان اعود إلي المنزل لكنني رفضت .. كنا نسير وأمامنا دبابة .. وشاهدنا الدبابة تتحرك بصوبنا ففزعت.. وبدأت الدبابة في اطلاق النيران فهرب فارس والصبي الآخر.. سقطت انا.. ورأيت فارس يسقط .. ورأيت الدماء علي الأرض .. وتمكنت من الذهاب إليه وجاءت اثنتين من السيدات وحملن فارس في سيارة.."

أشار عبد الرحمن علي مكان إصابة أخيه .. وقسنا المسافات.. كانت الدبابة علي بعد ٨٠ ميل منه.. كان هناك فوهة واحدة خارجة من أعلي الدبابة.. وقلد عبد الرحمن

صوتها .. الجنود لم يعطوا أية تحذيرات.. وبعد ان اطلقوا النيران علي فارس، لم يفعلوا شيئا!!

محمد حواشين البالغ من العمر ١٥ عاما اطلق عليه الرصاص وهو يحاول اجتياز المخيم... كانت علية ذبيدي في طريقها إلي المستشفي لتري جثة ابنها زياد المنتمي إلي كتائب شهداء الأقصي والذي قتل في المعركة.. قالت: سمعت اطلاق النيران .. كان الفتي يجلس أمام الباب .. تصورت انه يختفي من الرصاص .. عندما اقتربت سمعته يقول "ساعديني" لم نستطع ان نفعل له شيئا لأن الرصاصة قد اطلقت علي وجهه..

ووجدنا بقايا كرسي متحرك .. هرس وحرق .. وفي وسط بقايا الدمار كان هناك علمَ أبيض مكسور.. درر حسن أخبرنا كيف ان صديقة كيميل صغير قتل عندما كان يحاول عبور الشارع فوق كرسيه المتحرك.. لابد ان الدبابة الإسرائيلية قد سوت الكرسي المتحرك وما علية بالأرض لأن السيد حسن وجد : ساق ولم يجد الذراعين ووجد الراس مفلوقة إلي نصفين...

السيد صغير ٥٨ عام اطلق عليه النيران من قبل واصيب في الانتفاضة الأولي.. ولم يستطع بعدها ان يسير علي قدميه .. ولم يكن لديه عملا.. ورأينا الغرفة الصغيرة التي كان يسكنها .. وكان صغير يستخدم كرسية المتحرك

في "محطة بنزين" حيث يعمل السيد حسن صديقه .. كان حسن يغسل السيارات .. أما العلم الأبيض فقد كان حسن الذي وضعه علي الكرسي المتحرك..

"بعد الساعة الرابعة بعد الظهر كانت دفعت بصغير عبر الشارع كالعادة وعندما سمعت الدبابات تقترب وكانت حوالي ٤ أو ٥ منها .. سمعت اطلاق النيران وتصورت انهم يحذرون لنفسح الطريق.. وفي الصباح ذهبت لاتحري الأمر فوجدت تلك البقايا علي الأرض" لدي الاندبندت المزيد من تلك الشهادات.. ولكن لا توجد مساحة كافية لنكتب ...

السيد بوكاريت الباحث اعد تقريره وقال : "قمنا بلقاءات مكثفة في المخيم.. ومن شهادات عشرات من شهود العيان والذين ظهر صدقهم باتفاقهم ما قام به الجيش في المخيم...." الباحث بوكاريت سبق وان أجري تلك التقارير في روندا وكوسوفو والشيشان..

مأساة جنين لم تنتهي بعد!! المفقودين أما تحت الانقاض أو دفنوا في مكان ما .. أو قيد الاعتقال!!

ترجمة ماجى ميشيل
عن الاندبندنت البريطانية

حاصر حصارك

محمود درويش

كأنها حرب من أجل الحرب، فلا هدف لها إلا إعادة إنتاج ذاتها، ما دام الكل يعرف أن السيف عاجز، هذه المرة أيضاً، عن كسر الروح.

لقد عرض العرب السلام الجماعى على إسرائيل، مقابل انسحابها من خمس وطننا التاريخى، فردت إسرائيل على هذا العرض السخى بإعلان الحرب الشاملة على الشعب الفلسطينى وعلى الخيال العربى، فى اليوم التالى.

سنثبت مرة أخرى أننا الأقوى أخلاقياً، فلم يبق لنا إلا هذا البرهان. أما موازين القوى فستواصل سرد وقائعها خارج المحاججة الفكرية والقانونية... إلى أن ننتبه إلى أن العاجز عن الردع، لأن خياره الاستراتيجى الوحيد هو السلام، عاجز عن تحقيق السلام!

نرى فى كل بقعة ليل جريمة، وفى كل شارع قتلى، ودماً صارخاً على كل حائط. نرى أحياء

محرومين من شروط الحياة الأولية، ونرى شهداء محرومين من راحة القبر. ولكننا نرى قبل هذا وبعده إرادة شعب لا خيار أمامه سوى المقاومة. وبين نبضة قلب جريح وأخرى نتساءل: إلى متى نصفق لمسيح يصعد إلى الجلجة؟ ألم يبق من مقولة الصراع العربى الإسرائيلى الكلاسيكية إلا جانبها الفلسطينى لنضفى على هذا المشهد الأحمر الأسود كل هذا العجز المحايد؟ كم نخشى على صرخة ياسر عرفات من خشب الأيقونة، ففيها من جماليات الاستشهاد ما يغنى أمة عن العمل فى جمعة حزينة لا تبدو لها نهاية. لأن الدمع يلطف الروح وينظف الجسد من وخز الملح. لقد انتظر المشاهدون الباكون البث المباشر للحظة التى يكلل فيها البطل التراجيدى بما يليق به من ختامٍ، يجعل الأسطورة محكمة العناصر: أن ينتهى شهيداً، شهيداً، شهيداً...

لا، لا يحتاج الفلسطينى إلى المزيد من الإحساس بالوحدة أو الفرادة. لا يريد دور القربان أكثر مما هو. يريد الفلسطينى أن يحيا خارج الاستعارة، فى المكان الذى ولد فيه، يريد أن يحرر حيزه الجغرافى والإنسانى من ضغط الأساطير ومن همجية الاحتلال، ومن سراب سلام لم يعده إلا بالخراب.

لكن حقه فى الحياة، فى الحياة العادية، فى هامش أضيق من الحلم وأوسع من الكابوس، محاصر بالواقع الإسرائيلى المدجج بالخرافة العنصرية، وبالحداثة الحربية معاً.

ومحاصر بالقدر الأمريكى الذى يحمل العالم على قرن ثور هائج، ألغى "واو" العطف النسبية التى كانت تقع بين إسرائيل وأمريكا.

ومحاصر بتبعية مطلقة أفقدت النظام السياسى العربى فصاحة الاستجداء، والقدرة على مجاملة الشارع الغاضب على كل شيء.

ونتساءل : كم مرة سيحاصر الفلسطينى حتى يشعر العالم العربى بأنه محاصر مثله، وأسير مثله، لكن بلا مقاومة؟ لقد أغنانا التلفزيون عن الشرح. دمنا مسفوك فى كل بيت، وعلى كل ضمير. ومن لم يصبح فلسطينى القلب، منذ الآن، فلن يتعرف على هويته الأخلاقية بعد الآن، لا لأن القيم والمعانى "البائدة" التى أخفاها الاستهلاك الفكرى اليومى لعملية سلام خالية من مضمونى العدالة والحرية، قد عادت إلى الحياة، بل لأن الإرادة قد تحررت من حساب الربح والخسارة البسيط، ومن تشاؤم الفكر، وحررت المعنى الوحيد لوجودنا

الإنسانى وهو: الحرية.

ليس أمام الفلسطينى من خيار آخر،فأمام مشروع الإبادة السياسية الذى يقترحه عليه الاحتلال الإسرائيلى الأمريكى الموارد، اختار مشروع المقاومة والصمود مهما كانت التكلفة. ظهره إلى الحائط وعيناه على الأمل، الأمل المتوهج من قوة الروح التى لا تفسير لها.

ونتساءل: هل أعاد أحد من الجالسين ، فوق، النظر فى أى شىء؟ لقد تجاوز الشارع الحى هذا السؤال الزائف. ولكن السؤال المسكوت عنه هو : أما زال أحد قادراً على الظن بأن فى هذه المنطقة شعباً زائداً هو الشعب الفلسطينى، لا لشىء سوى لأن سؤال التحرر والحرية، الذى يطرحه دمه على الجميع، هو سؤال زائد عن حاجة العالم إلى الاستقرار على عبودية مفروضة أو مختارة؟!

لقد فتحت الحرب الإسرائيلية الشاملة على الأرض الفلسطينية وعلى الروح الفلسطينية أبواب الأسئلة على مصاريعها ، وفى مقدمة هذه الأسئلة سؤال العلاقات العربية الإسرائيلية، والعلاقات العربية

الأمريكية . لكن إسرائيل هى التى سارعت إلى الإعلان عن أن حربها هى صراع على الوجود، وأن حرب تأسيسها لم تستكمل بعد، فمتى تستكمل إذاً؟ إن ذلك لا يعنى إلا أن مهمة القضاء على الحركة الوطنية الفلسطينية ما زالت مدرجة على جدول الأعمال، حتى فى سياق عملية السلام، وأن الوجود الفلسطينى هو المهدد بالتدمير.

إنها تدعونا إلى العودة بالصراع إلى نقطة البداية الأولى، وإلى التأمل الساخر فى ما قطعناه من أشواط تغير فيها مفهومنا لطبيعة الصراع. إنها تعلن الحرب أيضاً على مفهوم السلام. فما الذى يهدد وجودها الذى تدافع عنه بمثل هذه الشراسة؟ هل هى الحرب التى لا يعلنها عليها العرب، أم هو السلام الذى يعرضه عليها العرب؟ إن الكذبة ضرورية لتماسك المجتمع الإسرائيلى حول أساطيره المؤسسة، وضرورية أيضاً لتشويه مفهوم الصراع بين احتلال يوشك على الزوال، وبين مقاومة توشك على النصر. أما إذا كان الاحتلال هو شرط الوجود الإسرائيلى وجوهره ، فتلك مسألة أخرى غير قابلة للحل.

إن مـا يعنينـا هـو الدفـاع عـن وجودنـا الوطنـى والإنسـانى، وعـن حدود هـذا الوجـود... حتـى لـو كـان ظهرنا إلى الحائط، فلا مفر... لا مفر!

عن "السفير" اللبنانيه
٥ أبريل ٢٠٠٢

هناك بلا شك أصوات كثيرة على امتداد العالم تريد أن تعرب عن احتجاجها ضد هذه المجازر المستمرة حتى الآن. لولا الخوف من اتهامها بمعاداة السامية أو إعاقة الوفاق الدولى. أنا لا أعرف هل هولاء يدركون أنهم هكذا يبيعون أرواحهم فى مواجهة ابتزاز رخيص لا يجب التصدى له سوى بالاحتقار. لا أحد عانى فى الحقيقة كالشعب الفلسطينى. فإلى متى نظل بلا ألسنة؟ ولم أجد من يومها من يدعونى إلى أى احتفال ببطولة الشعب الفلسطينى فى أى مسرح تحت رعاية أى وزارة.

هذا ما يدفعنى الآن إلى التوقيع على هذا البيان بشكل منفرد. أنا أعلن عن اشمئزازى من المجازر التى ترتكبها يومياً المدرسة الصهيونية الحديثة، ولا يهمني رأى محترفى الشيوعية أو محترفى معاداة الشيوعية. أنا أطالب بترشيح آرييل شارون لجائزة نوبل فى القتل. سامحونى إذا قلت أيضاً أننى أخجل من ارتباط اسمي بجائزة نوبل. أنا أعلن عن إعجابى غير المحدود ببطولة الشعب الفلسطينى الذى يقاوم الإبادة، بالرغم من إنكار القوى الأعظم أو المثقفين الجبناء أو وسائل الإعلام أو حتى بعض العرب لوجوده. بشكل منفرد إذن، أنا أوقع على هذا البيان باسمى:

جابرييل جارثيا ماركيز

ميريت
للنشر والمعلومات

جماعة
المثقفين
المستقلين